

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات

m a n a r a t

WWW. almadasupplements.com

العدد (3961) السنة الرابعة عشرة - الأربعاء (5) تموز 2017

أسمهان



أسمهان.. معنى الخلود

أسمهان أكبر من مسلسل



المسلسل فيها كثيرا.. يكفي ايها الناس ان ما اثارته اسمهان الاوبر الية، وبالعربية لأول مرة، كان اعظم بكثير من كل تفاهات الحياة التي لم تزل حياتنا العربية تسبح بحمدها ليل نهار.. وتترقبها وتلوكها الالسة. ولعل اسوأ ما في حياتنا العربية منذ القدم حتى يومنا هذا، ان يتدخل الآخرون في حياتك الشخصية، وينصّبون من انفسهم اوصياء عليك وعلى تصرفاتك التي لا مسؤول عليها الا صاحبها.. ولعل اسمهان التي عانت من ذلك اكثر من غيرها، بتجربها لخدمة وطنها قد فشلت حتى قهرها الآخرون، ولقد اخطأت عندما تنازلت، واعترفت قاطلة : " انا اللي استاهل كل اللي جىرى لي.." من دون اي فائدة تذكر لا بالاعتراف ولا بالترفع..



لقطة من المسلسل

لقد قتلوها نفسيا واعلاميا وتشهيرا قبل صدمة تراجيديا موتها وهي في ريعان شبابهها، ان ما يعينينا في اسمهان هو معنى خلودها. نعم، انها كانت وستبقى من اعظم ما اجبتنا حياتنا العربية على امتداد تاريخ طويل.. فان كان كل علماء الاصوات ونقاد الغناء وفنونه الاصلاء يدركون ما اقول، فان التاريخ سوف يسقط كل صغائر الحياة اليومية ويبقى اسمهان ابداع امراة عربية قلما يوجد الزمان يمثل صوتها واوبر البثها الرائعة.

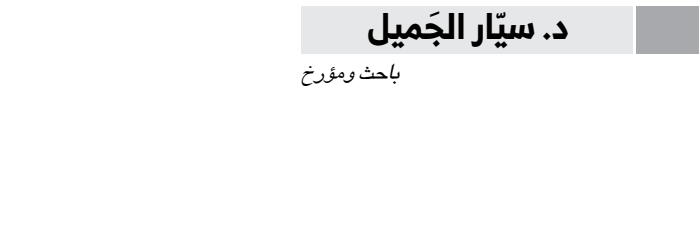
الموقع الالكتروني للدكتور سيار الجميل



فنان مطرب او مغني عربي ان يتفوق عليها من خلال اللحن الصعب الذي وضعه لها القصبي.. ولما رحلت اسمهان.. انتهى الصوت الاوبرالي حتى يومنا هذا.

مكابدات اسمهان

اعود الى "المسلسل"، لاقول : بأن اسمهان اكبر بكثير من سيرتها ووقائع حياتها القصيرة.. انها اكبر من احداث حياة انسان اختلف حولها الناس.. بل والانكى من ذلك كله، ان ليس هناك انسان عانى وكابد من الآخرين كما جرى لاسمهان.. لقد ارادت ان تحيا كما لو انها مالكة حياتها لوحدها، ارادت ان تكون حرة في كل تصرفاتها، ولكن المجتمع كان قاسيا عليها كثيرا.. لقد كانت تحمل معها كل تاريخها الصعب، وتشعر بانها اكبر من الجميع.. وكانت مؤمنة بذاتها، التي اعتبرتها استثناء ليس كالاخرين، اذ عُبِرت عنه بكبرياتها ليس كأميرة درزية، بل كمبدعة غير عادية.. ان التحديات التي صادفتها لم تستطع الاستجابة لها ابدًا، اذ كانت تحاصرهما من كل جانب. كانت حملات الملاحقة والتشويه والإساءة تلاحقها من مكان الى آخر، وخصوصا من قبل الصحافة



في عز الشباب؟ هل فكرنا بنهاية كل من بدر شاكر السياب وناظم الغزالي وجواد سليم في العراق؟ هل فكرنا بنهاية كل من ابو القاسم الشابي وذكرى الدالي في تونس؟ هل فكرنا بنهاية كل من عادل خيري وعبد الحليم حافظ في مصر؟ هل فكرنا بنهاية كل من مها الجابري وربا الجمال في سوريا؟ هل فكرنا بنهايات آخرين وآخرين؟ وتبقى اسمهان غير كل هؤلاء على وجه الاطلاق.. واذا كان "المسلسل" التلفزيوني قد قدمها الى عالمنا العربي اليوم، وقاء لذكراها الطيبة، واثارة لمجدها الغنائي.. وبالرغم من نجاحه على مستوى التصوير والاخراج والحبكة والاغنيات.. فهو يبقى اعجز من الوصول الى قامتها العالية التي بلغت الذروة، والتي لم يستطع احد بلوغها لا على مستوى المرنثبات ولا على مستوى الواقع ابدًا.

الخصلة الاوبرالية الفريدة

هذا الكلام الذي اقلبه هنا، ليس من باب الاعجاب الفني حسيب، ولا من باب كوني تربيت لوالدين يعيشان صوتها.. بالرغم من سماعي اغنياتها وانا صغير من خلال ما يكون يدور في جهاز الكرامافون من اسطواناتها، وما كان يذاع من اغانيها في محطات الاذاعة طوال الخمسينيات من القرن العشرين، بل لأن اسمهان قد جمعت خلاصا متميزة وفريدة على مستوى الصوت والخنجرة والشجن والاحاسيس.. وعلى مستوى الامكانيات المقامية والاداء سواء في فريدة حنجرتها، وطول نفسها، ومقدرتها في الميانة او الجواب او القرار.. فضلا عن براعة الاجادة في اداء مختلف التلاحين النغمية التي لا يدركها الا اساتذة الطرب العربي.. وكما كتبت ونشرت قبل سنين طوال، وانا اqارن بين ثلاثة انواع من الاداء الغنائي والتطريبي العربي، وهي: الغناء الذي وصلت الى قمة الاداء فيه الفنانة القديرة فيروز، ثم التطريبي الذي وصلت الى قمة الاداء فيه الفنانة الكبيرة ام كلثوم، اما الثالث فهو حاصل جمع الاثنين معا مع اضافة هائلة من الاداء الاوبرالي الذي وصلت اليه قمة الاداء فيه الفنانة الخطيرة اسمهان. لقد حلل صوتها أحد أبرز خبراء الاصوات، فقال : " اسمهان صاحبة أكبر صوت في تاريخ الغناء العربي من حيث الخامة، فمساحة الصوت ورنيتها الخاص وقدرته على التطبيع لتضاهى. مساحة صوت أسمهان تمتد إلى أكثر من ديواتين، أي ما يوازي أكثر من خمس عشرة درجة



طلب مني بعض الاصدقاء ان اكتب شيئا عن مسلسل (اسمهان) التلفزيوني الذي عرض خلال شهر رمضان الفضيل، خصوصا عندما تحدثت عنه شفويا في مناسبة ثقافية هنا في كندا.. وكنت قد تابعت هذا "العمل" المتميز لاغلب حلقاته باستثناء حلقتين او ثلاث ضاعت مني وانا في متاهة العمل وزحمة الانشغالات.. وكنت اتمنى ان يحرص كل المهتمين على متابعة ليس المسلسل بحد ذاته، بل اشارة ذكرى شخصية فنية عربية متميزة كان عطاؤها مدهشا ابان النصف الاول من القرن العشرين.. ثم اختفت بطريقة غامضة.. صحيح انني اسجل كل الإعجاب بالشخصيات التي اعادت كل من قصة وصوت اسمهان الى الوجود.. خدمات ونصوصا وبطولة وتمثيلا وتصويرا وانتاجا واخراجا، ومقاربة تراجيديا اسمهان الى واقعا اليوم في القرن الواحد والعشرين، الا ان اسمهان نفسها، اكبر من اي عمل فني او غير فني يجسد ذكراها الكبيرة، وقيمتها الفنية.ان هذا الاسم الذي حفر نفسه في تاريخنا الثقافي والاجتماعي أكبر بكثير مما نتخيله على وجه الاطلاق، ومهما بلغت درجة الاجادة من قبل اي انسان يتفحص شخصيتها، كي يغني اغانيها، او يمثل دورها.. فهو يعجز تماما عن ادراك الطاقة التي امتلكتها اسمهان منذ ان لع نجمها وحتى نهايتها المساوية التي اودت بحياتها، اذ بقيت تعيش نجمة في ضائبر أولئك الذين يدركون امكانياتها التي لا يضاهيها أحد من المطربين ابدًا في الحياة الفنية العربية الحديثة.

الخالدون لا يموتون

اننا نعرف بأن هناك عاقلة من الفنانين والمطربين الذين اثروا الحياة الفنية العربية باعمالهم الغنائية، وهم قلة قليلة وسط بحر من الاصوات المتنوعة، ولكن اسمهان كانت قد تفوقت عليهم جميعا بقدراتها الهائلة التي نجح في توظيفها بعض أولئك الذين تعاملوا معها لأكثر من عشر سنوات، فلنتصور كم كانت ستفري الغناء العربي المعاصر في القرن العشرين، لو استمر وجودها لعقود اخرى من السنين.. ان رحيلها المبكر، وبالطريقة التي انتهت اليها حياة اسمهان يعد من الناحية التاريخية اكبر خسارة منيت بها الثقافة العربية الحديثة التي طالما خسرت الكثير من المبدعين الذين لا يتكرر من امثالهم ابدًا. فمة سؤال اعتقد ان من الامة يمكن التفكير فيه مليا : لماذا كانت حياتنا العربية تخسر اقوى مبدعيها، برحيلهم وهم



محمد التابعي وشريفة زهور يكتبان عن أسمهان أكثر من أسمهان وأكثر من قصة

عناية جابر

وكتاب شريفة زهور عن أسمهان وأسرارها، نرى الى بحث زهور الجاد عن حقيقة تلك المطربة التي بهرت العالم العربي بصوتها الماسي، وإلى الجهد الضئيل المبذول في سبيل سبر أغوار الأنثى الجريئة المفرطة في مواكبة العصر. أحد معاني مغامرة أسمهان في مسألتها مع المخابرات، تراه زهور مرتبطاً بوطنتها، مع عدم نفي الكاتبة الوجه الآخر لتلك العلاقة، وهو طمع أسمهان بمال لصرته على مذاتها، على الرغم من احسانها وبذلها الكثير حين تتوفر لها المادة.

تضسي قصة أسمهان في كتاب زهور، رؤية الشرق الأوسط للشان الجنسي، والسلطة، والرعاية والعلاقات والفساد، وكيف تطورت هذه الرؤية في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، حيث تأتت أسمهان حياتها في سياق النهوض القومي والإحباطات، كانت أسمهان تأنف الغناء في حفلات عامة، وتؤثره في سهراتها مع الأصحاب فتروح تطلقه من مكان لا تعرفها هي نفسها، يتردد صدها في ملحمتها الخاصة التي لم يفهمها أحد، لا أمها ولا أخوتها، ولا محمد التابعي ولا ولي بدرخان ولا أحمد سالم، ولا صديقاتها أيمنة البارودي أو ماري قلادة.

لا أحد ممن عرفته أسمهان، زوجاً أو صديقاً أو حبيباً لامس تراجيديا التصادم في داخلها. كتاب التابعي عنها، كتاب رجل مخذول في ذكوره وسلطه، أثار زهور فتعتبر أن حياة أسمهان نقطة التقاء مصادر عديدة وتضافرت في تلك المرأة، وحكاية يمكنها أن تلحن، فيما تزودنا بملاحظات أخلاقية مهمة ومألوفة، أو تؤدي كأغنية ذات موضوع وتوقعات.

عن/ جريدة السفير اللبنانية



في أوائل عام ١٩٤٩ كتب أمير الصحافة آنذاك، المصري محمد التابعي، أول فصل في قصة المطربة أسمهان في مجلة «آخر ساعة»، ثارت إثر نشرها عاصفة من الأقاويل قسمت الرأي العام بين مهاجم للتابعي مُطالب بعدم المضي في كتابة قصة بقية الفنانة ما، فإن كل أعيان الصعيد بإطلاق الرصاص عليه لأنه نكأ جراح إعجابه ووليه بأسمهان) ومُؤيد قليل، يرجوه المضي في كتابة قصة حتى نهايتها.

أكمل التابعي سرد روايته عن أسمهان وكانت تجمعها بها علاقة وطيدة، ومع كل فصل جديد ينشره، كان يحصل مزيداً من الانصاف المتابعين. القصة كاملة بين أيدينا صادرة في طبعة ثانية عن دار الشروق (الطبعة الأولى صدرت سنة ٢٠٠٨) وتحمل عنوان: «أسمهان تروي قصتها» يسرد فيها التابعي قصة علاقتها الغربية، وبعض حياة المطربة الراحلة، الفنية والعاطفية والاجتماعية.. وأيضاً السياسية. كنا قرأنا لشريفة زهور «أسرار أسمهان» المرأة، الحرب، الغناء، إصدار «دار المدى» منذ سنوات ثلاث، وهو حصيلة جهود الكاتبة المثقفة التي عرفت كيف تكتب عن امرأة غامضة.

في كتاب التابعي، يصف الكاتب أول مرة رأى فيها إيميلي الأطرش، (أسمها) كما جاء على شهادة ميلادها)، أو «أمال» الأطرش كما سماها زوجها في ما بعد، الأمير حسن الأطرش، أو أسمهان كما سما لها إسماً فنياً الموسيقار داود حسني، يصفها التابعي حرقياً: إنها «شيء» صغير، تحيل مسكين يبعث الرحمة في الصدور، بقي التابعي يكرر ذات الجملة عن أسمهان في كافة مراحل علاقته بها التي قاربها في كتابه، كما لو يتنصّل من أسمهان وحبها لها الذي قرأناه مخفياً بين السطور. على كل علاقة أسمهان بالحياة كانت تخفي ذات الصوت الملائكي.

المنهجية في البحث العلمي، ومن غير اتهامها بالافتقار إلى الموضوعية في معظم الأحيان.

إن الإشارة إلى زخرفة واختراع تفاصيل الماضي تبدو هنا كما لو أنها مقبلة يختصر بها الشرقيون وحدهم، ولا يمكن وجودها في الغرب. لكن بدءاً من النظر إلى الشائعات المتناقضة التي تطارد حياة المشاهير في الغرب (حياة وموت مارلين مونرو في سبيل المثال) وحتى تفكيك خطاب الغرب عن الشرق وما يتضمن من اختراع شرق متخيل، يصبح من اليسير نحض براءة الغرب مما يصيب الشرق بهذا الصدد. في مقابل القول أن هذه الظواهر هي إنسانية عامة، بدرجات متفاوتة، ساهم تطور قنوات الاتصال والإعلام، (وعوامل أخرى لا مجال للخوض فيها في هذا المقام)، في تعزيزها وانتشارها في الغرب والشرق معاً، فضلاً عن ضرورة عدم إنكار بعض خصوصية العالم العربي، بهذا الصدد، لأسباب تاريخية معروفة.

هرب أفراد أسرة أسمهان من مدينة (دمرجي) في الأناضول، حيث كان رب الأسرة (والد اسمهان؛ فهد الأطرش) يشغل وظيفة قائممقام، لما عرفوا أن اليونانيين يزحفون باتجاههم، وكان ذلك في تشرين الثاني ١٩١٧، وكانت زوجة فهد (علياء) حاملاً في شهرها الأخير، فأنجبت في البحر وهم في طريقهم بين أزمير وبيروت، وأطلقت الأم على المولودة اسم (أمل) تفاؤلاً بنجاتهم. (هناك رواية أخرى يتركها الصحافي محمد التابعي عن ولادتها في العام ١٩١٢)، وعائلتها (آل الأطرش) هم فرع متنفذ في العائلة الدرزية. وقد لجأت الأم مع أولادها الثلاثة (فؤاد وفريد وأمل) إلى القاهرة في العام ١٩٢٣ للابتعاد عن خطر الاضطرابات الحاصلة في الشام. وربما كانت أمل في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرها حين استمع إليها الملحن محمد القصبجي مندشاً وهي تغني، وقال: «هذا صوت من الفردوس». وأطلق عليها الملحن داود حسني اسم أسمهان (اسم حسناء فارسية ساحرة من زمن غابر)، ورأيه أن الاسم هذا يتصف بالفخامة الراقية بصوت هذه الطفلة المعجزة. ومنذ ذلك الحين بدأت قصة المغنية التي شملت لوقت طويل الصحافة والخبة والرأي العام.

تتبع المؤلف مسار وتفاصيل تلك القصة، كما وردت في السير المكتوبة عنها، وما قاله وصرح به أقرابها الأحياء، وما رددتها الصحافة في حينها. ولكن في إطار المشهد الكبير (الاجتماعي والسياسي والفني، الإقليمي والعالمي).. قصة مترعة بالإنشابة والتنوع والألوان المتعددة الدرجات، والغموض، والتي تضفي كما تقول المؤلفة: «رؤية الشرق الأوسط للشان الجنسي، والسلطة، والرعاية، والغناء، وكيف تطورت هذه الرؤية في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات. لقد عاشت (أسمهان) تجربة الحياة في سياق النهوض القومي والإحباطات. فالتوترات بين الغرب والشرق وبين الطبقات الاجتماعية تتردد صداها في ملحمتها الخاصة. ويتواصل التصادم بين الشرف والشهرة، وبين التحول والعرف، ونحن نفكر في المرأة، وموسيقاها، وحرب عالمية».

تزوجت أسمهان من حسن الأطرش، للمرة الأولى، في العام ١٩٢٣. وكانت حكايات زيجاتها إشكالية أخرى في حياتها اختلطت مع قضايا التقاليد الاجتماعية والقبلية والفن والسياسة والهوية والهجرة والسمة. وأنجبت فتاة (هي الوحيدة: كاميليا) وربما لم تستطع قط

تعدو الكتابة عن سيرة امرأة ذات شهرة ومكانة، عاشت في مجتمع وزمن محافظين، مغرية، ويزداد الإغراء حين تكون تلك المرأة مطربة ذات صوت ساحر، تمردت على تقاليد أسرتها ومجتمعها من أجل فنها. ولكن أن تكتشف جوانب من حياتها الأسرار، وأن تشارك بجرأة نادرة في الحدث السياسي، فعلاً لا قولاً، وأن تموت وهي في عز شبابها وعطائها الإبداعي، بطريقة مبهمة ومريية، فإن شغف الكتابة عنها يبلغ أقصاه.

تلك المرأة المطربة هي أسمهان، التي تنقلت بين الشام ومصر، في النصف الأول من القرن العشرين، وخاضت تجربتها/ معركتها الشخصية الاجتماعية والفنية، ومن ثم السياسية، بطريقة لافتة وصاخبة، متجاوزة مواضع عصرها وظرفها وجنسها. ومحقة في غضون سنوات قليلة إنجازاً فنياً لا يضاهي. وقد ولدت في الماء/ البحر يوم كانت عائلتها هاربة من الأناضول إلى بيروت، حتى كاد والدها يطلق عليها اسم (حريية) لولا معارضة أمها التي اقترحت اسم (أمل). لتموت في الماء أيضاً (في قناة للري) بحادث سيارة، بين القاهرة ورأس البر، تماماً مثلما تنبأ لها عزّاف قبل ذلك بسنوات طويلة!.

سعد محمد رحيم

(أسرار أسمهان: المرأة، والحرب، والغناء)

كانوا قريبين منها.. ترجّح هذا الاحتمال على ذاك، وتقترب من الحقيقة أو تسعى إليها، لكنها لا تدّعي بأنها تعرف ما لا يعرفه حتى الشيطان (إذا ما استعرضا بتصرف مقطّعا من قصيدة لعبد الوهاب البياتي استشهدت به الكاتبة).

تعدو الكتابة عن فنانة مثل أسمهان تورطاً في شبكة روايات، على حد تعبير حنا أرندت.. تقول المؤلفة: «والواضح هو أن أسمهان كانت مغنية عظيمة، إلا أن الدعاوى بأنها كانت أميرة، أو جاسوسة، أو خائنة، أو بطلة وطنية، أو امرأة خائبة العاطفة، يمكن بالنسبة إلى مجتمعها العربي أن تتعايش من غير معضلة. وحين كان يصعب التأكد من تفاصيل الماضي، كانت تخترع أو تزخرف، والكتاب، عموماً، موّجه للقاء الغربيين، ومؤلف باللغة الإنكليزية. وغالباً ما تشير الكاتبة إلى البيئة الشرقية/ الشرق أوسطية ودورها في تحديد مسار حياة أسمهان وقدرها، ومن ثم في صياغة قصتها بتناقضاتها وملاساتها وخفاياها. وفي القطع الأنف الذكر، المقتبس من الكتاب (كما في مقاطع عديدة أخرى تحل بها الفصول، حيث تشير غالباً إلى البيئة العربية الأيوبية الشرقية أوسطية) نلخص نوعاً من نبذة الاستعلاء والتبميز، وإن لم تكن حادة. وأكاد أقول: شيئاً من روح استشراقية، على الرغم من الأصل الشرقي العربي للمؤلفة (شريفة زهور؛ وهي أستاذة مختصة في أبحاث الشؤون الإسلامية والعالم العربي بمعهد الدراسات الإستراتيجية التابعة للجيش الأمريكي). غير أنها، والحق يقال، متحررة من عوالم نظريات المؤامرة، وأيضاً مما تسميه هي بتحيزات الرجال في أثناء الكتابة عن النساء، والغلبة هنا (أسمهان). إذ يمكن، بالقرأة المتأنية للكتاب، تلمس طريقتها

دقيق. وفي النهاية لم تتججج الكاتبة. وهذا نقرأ عن حياة جيل ومجتمع. فاسمهان في هذا الكتاب موضوعة في سياق تاريخي، وتتحرر على خلفية أحداث سياسية واجتماعية وفنية.. وقد جاءت الفصول المكتوبة نتيجة بحث واستقصاء جادّين، ونظر موضوعي، وتحليل تاريخي وعلمي



صفحات أن علاء كان على صواب.. هذا كتاب مختلف.

يعطينا الكتاب، على الرغم من صغر حجمه، قدراً وفيراً من المعلومات في التاريخ الحديث وصراعات السياسة، والأثر بولوجيا (الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط) وفن الموسيقى والغناء والسينما. صارت تلك الهوية المبكرة، المشبعة الحلقة موضع إطرادٍ واسع، وإعجاب شديد، وحسد أيضاً، وريبة.. دخلت أسمهان ميدان فن الغناء بثقة وثقان وإصرار. وبدت للمهتمين والعارفين بأصول الطرب والمقامات، وقدرة الحنجرة البشرية على الأداء معجزة صغيرة تعد بمنجز هائل مع وجود ملحنين كبار (محمد القصبجي، ورياض السنباطي، ومحمد عبد الوهاب، وشقيقها فريد الأطرش). ويمزج أحمة صوت جبار ذي حضور طاع (أم كلثوم).

بصاؤل كتاب (أسرار أسمهان: المرأة، والحرب، والغناء) لمؤلفتها الباحثة (شريفة زهور.. ترجمة: عارف حديفة، ومن إصدارات دار المدى/ ٢٠٠٦) فك بعض الألغاز التي طبعت حياة أسمهان القصيرة والشاقة والمترعة بالإنشابة والغموض. والتذكير بموهبتها وإبداعاتها الخلاق. ودورها في تحديث الغناء العربي.

لما أراد صديقي الناقد السينمائي علاء المرغجي إعراني هذا الكتاب، لاحظ ترددي في أخذه، فقال: هذا كتاب لا يشبه بقية كتب السيرة المكتوبة عن المطربين والمطربات العرب، أقرء، ولاشك في أنك ستغير رأيك.. واكتشفت بعد قرأة بضع



قراءة في كتاب

(أسرار أسمهان: المرأة، والحرب، والغناء)

أسمهان.. إذا حكّت!!

هل الرجل يعرف المهمة التي اسافر من اجلها؟! وهل هو يتبعني خصيصة؟ وهل هو جاسوس؟ ولحساب من يعمل؟

كان في امكاني ان احتفظ لنفسي بعشرات الالوف من الجنيهات، فقد كنت انا الوساطة الوحيدة في ايصال هذه المبالغ الى امراء وعماء البادية

صحفي امريكي جاسوس لالمانيا!

بدأت اسمهان او الاميرة آمال الاطرش تروي قصتها منذ غادرت مصر في يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٤١ ف قالت:

لم يكن القطار قد ابتعد كثيرا عن القاهرة حتى خيل لي ان حناث الايام الثلاثة الماضية كانت حلما.. وقد افقت منه الان فقط.. وسألت نفسي هل انا جئنت؟.. والا فكيف قبلت هذه المهمة؟! وكيف رضيت او اورط نفسي في عمل لا خبرة لي به؟..

ولاول مرة مذ قابلت مستر سمراث ادركت خطورة العمل الذي انا قادمة عليه وجسامة الخطر الذي قد اقع فيه.. بل وتمنيت لو استطعت ان اعود الى القاهرة واعدل عن هذه الرحلة ولكن كيف؟ هذا مستحيل الان! واربت ان اهرب من نفسي من افكاري السوداء فانتقلت الى عربة الاكل.. وجلست وحدي الى مائدة ولكني لم ابق وحيدة طويلا. فقد اقبل رجل و استأنذ هل اسمح له بالجولوس في المقعد الخالي امامي وسمحت له طبعيا، وقدم نفسه الي على انه صحفي امريكي.. وان اسمه (ف) (تكررت لي آمال اسمه ولكنني اكتفي بذكر اول حرف فقط لاسباب سوف يدرکہا القراء فيما بعد).

قالت آمال:

ويبدأ مستر (ف) يحدثني عن الحرب ومجراها وتطوراتها، وعن الشرق الاوسط، وانه يسافر الى لبنان لانه يتوقع قريبا وقوع احداث هامة، ثم سألني فجأة: (أست من رأيي؟)

ووجدت نفسي اقول نعم! ولكني في نفس اللحظة تنبهت؛ وتذكرت نصائح مستر سمراث ونصائحك، واحسست ولا ادري كيف، ولعلها اعصابي المرهقة ان جلوس الرجل معي الى مائدة واحدة لم يكن مصادفة.. بل كان امرا مقصودا..! وان حديثه كان يرمي لغرض..

وهو ان يستدرجني في الحديث.

دارت هذه الخواطر في رأسي ثانية او ثاينيتين!

هذا و الرجل يتحدث ويسألني ولكني وقد تنبهت اعذرت بالجهل وعدم احاطتي بتفاصيل سير الحرب من عدم الاجابة، و(بابقاسمة) ولم اكن كاذبة في اعتذاري فانت تعرف خيرا من سواك انني لا اقرأ الصحف وانتي عمري

ما اهتممت بتتبع سير الحرب!

ومضت تقول:

وانتهينا من تناول طعام العشاء ووصلنا الى القطرعة.

وكان في رأسي سؤال اخافني وهو هل الرجل يعرف المهمة التي اسافر من اجلها؟! وهل هو يتبعني خصيصة؟ وهل هو جاسوس؟ ولحساب من يعمل؟ لحساب المحور..

ام ترى الانجليز هم الذين ارسلوه ورائي ليراقبني؟ فقد كنت قرأت في بعض الروايات ان هناك جواسيس يتجسسون على جو اسيس بينما الكل يعملون لهف

واحد ويخدمون مصلحة واحدة!

ولكني اطمأنتت قليلا عندما رأيت ان مستر (ف) لم يحاول ان يلازمني في محطة القطرعة او يجلس معي في

قطار فلسطين.

ولكني لما نزلت في الصباح في محطة اللد وجدته واقفا على الرصيف وكأنما كان ينتظرني.. وتقدم مني وحياتي وتمننى لي سفرا سعيدا ثم قال انه سيواصل سفره بالقطار الى حيفا.. وفعلا عاد وركب القطار.. قالت

آمال:

هذا الصحفي الامريكي مستر (ف) كان من وكلاء المحور كما عرفت فيما بعد.. هل تذكر انني ارسلت اليك مرة برقية عن سفري الى انقرة؟

قلت: نعم وكنت انتظر حتى تنتهي من حكايتك واسألك عن السبب ولكنك لم تسأفري؟ قالت: كلا، لم اسافر، او لم امكن من السفر.. ولمستر (ف) علاقة بكل هذا.. هل احكي لك القصة الان او اتركها الى ان يجيء دورها؟

قلت: كما تشائين..

قالت: اذن اتركها الى ان يجيء دورها.. واستأنفت الحديث فقالت:

كومودور باص يعطينا تعليماتها واول الف جنيه!

وركبت من الد سيارة الى القدس، ونزلت في فندق الملك داود ولم تمض على وصولي ساعة حتى زارني رجل انجليزي كان يلبس ستره سلاح الطيران البريطاني واسم الرجل (باص) وهو برتبة (كومودور) ورحب بي ودعاني لتناول الشاي معه في نفس اليوم. وحول مائدة الشاي حدثني طويلا عن (عملي) واكد على ضرورة الحذر الشديد في كل خطوة اخطوها ونصحني ان اسبي الظن بكل واحد.. وهنا سألتها: وهل قلت له شيئا عن الصحفي الامريكي؟

قالت: كلا خطر لي او لا ان افعل ولكنني عدلت.

سألتها، لماذا؟

قالت: لم اكن اعرف ساعتئذ انه يعمل لحساب المحور، وكان يحتمل ان يكون جاسوسا لهم هم.. للانجليز! على كل حال لم اقل شيئا عنه لكومودور باص..

واستأنفت حديثنا:

وطلب مني باص ان استريح اليوم واستعد للسفر غدا الى عمان، وهناك سوف يلقاني من يسهل لي دخولي

سوريا خلسة من حدود شرق الاردن وكان من المهم جدا كما فهمت من باص ان اصل الى جبل الدروز واجتمع بالامير حسن وزعماء الجبل قبل ان يعرف الفرنسيون بدخولي سوريا..

وكان باص يعرف ان للمحور جواسيس وعيونا في مصر، وكان من المحتمل او على الاقل من الممكن ان يكونا عرفوا السبب في سفري وارسلوا الى سلطات المحور في

لبنان وسوريا يبنهونها الى الغرض من زيارتي لجبل

الدروز.

وطلب مني باص ان اؤكد لزعماء الدروز ان الحلفاء سوف يرسلون جيشا لطرد حكومة قبشي واعوان المحور، وان جيشهم هذا انما يدخل سوريا ولبنان لتحريرهما من كل سلطة اجنبية وان اؤكد لهم كذلك ان النصر النهائي في هذه الحرب للحلفاء!

الى اخره.. الى آخره..

وانا اخضرت هنا كثيرا من كلام آمال الاطرش تفاديا من تكرار كلام سبق للقرآن ان عرفوه وسمعوه اثناء الحرب عن قوة الحلفاء ولماذا سيكون النصر لهم في النهاية، وعن اغراضهم من هذه الحرب.. الى آخره..

قالت آمال:

وقبل ان يتركني باص في المساء دس في يدي مظروفا وقال ان فيه الف جنيه لمصريفي اننا الشخصية.. وان الذي سوف يلقاني في عمان سوف يقضي الي ببقية التفاصيل..

تدخل سوريا خلسة!

وفي اليوم التالي سافرت الى عمان فوصلت اليها بعد الظهر، واتفقى اليوم ولم يتقدم الى احد.

ومضى صباح اليوم التالي ولم يتصل بي احد..

وبعد الظهر دعيت للتلفون وكلمني المجهول بلغة فرسية ركيكة وفهمت منه انني يجب ان اكون مستعدة بحقائبي بعد نصف ساعة. وفي الموعد المحدد كنت جالسة في ردهة الفندق وحقائبي القليلة حولي واقل خادم يقول

ان سيارة تنتظرني امام الفندق ومشيت الى السيارة.. ووضع الخادم حقائبي فيها.. واخذت مقعدي الى جانب السائق ولم يكن في السيارة احد سواه.. وكان السائق ضابطا انجليزيا شابا، ومن صوته عرفت انه هو الذي حدثني بالتلفون و انطلقت بنا السيارة الى طريق الشام.. وانا والطريق راح الضابط الشاب يذكر لي اسماء زعماء الدروز ويسألني بعد كل اسم هل اعرف صاحبه؟ وطبعاً كنت اعرفهم جميعا فهم اقاربي وابناء عشيرتي.. ثم اخذ يسأل عن حالة كل منهم المالية والاجتماعية.. وهل هو رجل طموح او فنع؟ وهل هو ممن يمكن الركون اليهم والى كلمتهم!

وانتقل الضابط بعدها الى امراء وزعماء البادية ورؤساء القبائل الضاربة في صحراء سوريا ولكن معرفتي بهؤلاء كانت قليلة جدا فلم اكن اعرف منهم سوى اميرين او ثلاثة اما هو الضابط فكان يعرف اسماعهم جميعا وكان ملما بكل شيء عن كل واحد منهم..

ودام حديثنا في هذا الموضوع اكثر من ساعتين استطعنا ان (نغريب) هؤلاء الاسراء وزعماء وان نختار منهم تسعة وهم الاجبر مقاما والاوسع نفوذا في الجبل



صحفي عربي راحل

محمد التابعي

والبادية وكان على رأسهم طبعاً زوجي حسن الاطرش.. واخيراً بدأ الضابط يذكر اسماءهم واحدا بعد واحد.. وهو يسألني : مارأيك؟ هل تظنين انه يقنع بخمسائة جنيه في الشهر؟ وكنت اقول : كلا؛ مستحيل؛ على الاقل الف جنيه..

هذا بينما كنت اعلم ان فلانا هذا يفرح جدا بخمسمائة جنيه.. بل يرضى بمائتين؛ ولكن لم لا اجعل هؤلاء الزعماء العرب ينتفعون بالاموال البريطانية التي كانت تنفق بالالابين!

ويتناول الضابط زعيماً آخر او رئيس قبيلة ويقول: وهل تكفيه الف جنيه؟

واقول انا: كلا هذا رجل قوي وغني، والف جنيه لا تملأ عينيه على الاقل الفان وهكذا..

انا حمارة كبيرة

و توقفت اسمهان في روايتها وضحكت وهي تقول: كم كنت حمارة كبيرة!

وضحكت انا وقلت: الرجوع الى الحق فضيلة؛ ولكن ما سر هذا الاعتراض؟

قالت: كان في امكاني ان احتفظ لنفسي بعشرات الالوف من الجنيهات، فقد كنت انا الوساطة الوحيدة في ايصال هذه المبالغ الى امراء وعماء البادية، وكان الضابط الانجليزي المذكور يزورني كل شهر مرة في فندق (اوربان) اي الشرق في دمشق ويقول: لقد احضرت لك سجايرك اللاكي سترايك.. ويناولني (خرطوشتين) سجاير ملفوفتين بالورق، ولكن لم تكن هناك سجاير بل رزم من اوراق البنكوت؛ وكان الاسراء والزعماء يتربدون على الفندق واقبال كل واحد منهم على افراد واناولة المبلغ المخصص له، وكما قلت لك فان معظمهم كان يقنع بل ويفرح بنصف ما كنت اعطيه اياه، ولو انني كنت فعلت ذلك واحتفظ لنفسي بالقرق.. وهرزت كتفيها وقال: ولكنني كنت حمارة كبيرة..

ثم كانما تذكرت امرا لانها ضحكت وقالت:

عملتها بس مع زوجي حسن الاطرش.. قلت: زوجك؟!

قالت: نعم.. في احدى المرات كان علي ان اعطيه نصيبه وهو الفان من الجنيهات ولكنني لم افعل، وتركت دمشق وسافرت الى بيروت، والامير حسن لايزال يعتبر هذا المبلغ ديناً علي حتى الان!

تقابل زوجها حسن الاطرش

وعادت اسمهان الى روايتها واستأنفت الحديث.. وانا اغفل بعض التفاصيل التي لا ضرورة او لا اهمية لها.

قالت: واخيراً وصلت الى الجبل (تقصد جبل الدروز)

وكنت متهيبة جدا من مقابلة العائلة وخصوصا الامير

حسن بسبب ما نشر في بعض المجلات المصرية عن زواجي ببدرخان ونحن الطرشان نعهده عارا ان تزوج الفتاة من رجل غريب خصوصاً اذا كان يقل مقاما عنها (كذا)؛ والمجلات المصرية مقروعة في سوريا وفي الجبل، وفعلاً سألوني عن حكاية زواجي هذه فكذبتها وقلت انها كذبة مختلقة من اكاذيب مجلات مصر.

وعلى العموم استقبلني كبار الاسرة استقبالا طيباً، وقد تأثرت حقيقة من حسن استقبال الامير حسن وقد احسست في الحال انه لايزال يحبني،، ولعل هذا الحب هو الذي سهّل على مهمتي لانني لم اجد صعوبة في اقناعه بصواب الانضمام الى الحلفاء والتخلي عن تايدد حكومة قبشي.

ولكنه طلب مني ان اعود زوجة له. وايدى استعداده لان يطلق في الحال زوجته التي كان تزوجها بعد طلاقى منه.. ولم يقلها صراحة ولكني فهمت انه يجعل عودتي اليه شرطاً لقبوله مانجث من اجله، اي شرطاً لنجاحي في مهمتي،،، قالت آمال الاطرش ولعلها ارادت ان توجز وتمسر سريعاً بهذا الفصل من روايتها حتى لا اناقشا في

تناقض برقياتها التي ارسلتها الي والتي كانت ارسلتها الى اسرتها في القاهرة.

قالت: ولا اظيل عليك، وارسل حسن ودعاً زعماء الطرشان للاجتماع بي وتولي عني شرح مهمتي.. واقناعهم ثم بعث بالرسل ودعاً بعض زعماء قبائل البادية.. وفي الوقت نفسه بادر الى طلاق زوجته لكي يثبت لي انه جاد في طلب عودتي زوجته له!

ومع انني استعنت بالكتمان والحذر الا ان خبر وجودي في الجبل وخبر (تشاطي) السياسي ومقابلاتي لبعض امراء وزعماء البادية وصل الى مسامع السلطات الفرنسية وعيون المحور في سوريا ولبنان.

قالت: ولعل الصحفي الامريكي مستر (ف) هو الذي ابلغ عني، ولو انه اقسم لي فيما بعد انه بريء من هذا.. وعلى كل حال فقد جاءني الامير فاعور، وهو احد امراء البادية وهو صديق لاسرة الطرشان، يحذرني ويقول ان السلطات الفرنسية توشك ان تصدر الامر بالقبض على واعتقالي وانه يجب على ان اهرب واغادر سوريا على الفور.. وهنا قاطعتها ونكرت لها خلاصة البرقية التي كانت نشرتها جريدة المصري وفيها ان المصري وفيها ان السلطات الفرنسية هي التي طلبت منها مغادرة البلاد و انها، اي آمال اضطرت بعد هذا ان تهرب على ظهر جواد!

قالت: هذا غير صحيح ولو كانت السلطات الفرنسية هي التي طلبت مني مغادرة البلاد فلماذا اهرب على ظهر جواد؟ كان يمكنني في هذه الحالة ان اغادر البلاد علناً وبالطريق العادي ما دامت السلطات هي التي طلبت مني ذلك! كلا.. الحقيقة هي ان الفرنسيين ارادوا ان يقبضوا على ولهدا هربت..

تهرب متكررة في زي عبدا!

وتطوع الامير فاعور بتهربي من سوريا ومرافقتي بنفسه الى حدود فلسطين.. وتكررت في زي عبدا من عبدا الامير؛ وطلبت وجهي ويدي بدهان اسود اللون.. ولمست ملايس العبيد الذين في خدمة امراء العرب، ولغفت رأسي وشعري بالكوكية والعقال وركبت جوادا وسرت وراء جواد الامير فاعور؛

وكانت رحلة شاقرة طويلة ومتعبة فقد اضطر الامير ان يسلك في بعض اجزاء الطريق طرقاً ودروباً غير مألوفة ولا معروفة عند حراس الحدود.. ولقد مررنا بين اونة واخرى.. ببعض الاستحكاكات التي اقامها الفرنسيون ولم انس مهمتي فاجتهدت ان اسجل في ذاكرتي كل ماتقع عليه عيناى من تجمعات للجند.. واوكار المدافع.. وجسور او كبراي انشئت هنا وهناك في بعض الممرات بين الجبال.. والحصون الصغيرة ومخازن الخنيرة الى آخره..

قالت: وانا احب ركوب الخيل.. ولكن للرياضة؛ ولكني عمري ما فطنت انني سأكره الجياد وركوب الجياد الى هذه الدرجة.. وعندما عبرت اخيراً الحدود، وبخلت فلسطين كنت احس ان وسطي انقلب؛ بعد ان اضميت على ظهر الجواد ليلة وبعض يوم؛

وودعت الامير فاعور وشكرته.. وفي مساء اليوم التالي كنت في القدس.. ودخلت فندق الملك داود؛ ومك كانت دهشة موظفي الفندق عندما طلبت منهم ان يقودوني الى الجناح الذي كنت اقيم فيه؛

ذلك لاني دخلت الفندق وانا كما انا.. اي سوداء في زي

العبيدا!

وبعد ان اغتسلت وابدلت ثيابي ارسلت في طلب كومودور باص.. ورويت له كل ما فعلته في سوريا، ونتيجة احاديثي ومقابلاتي مع الامير حسن الاطرش وزعماء الجبل والبادية.. ثم قصصت عليه تفاصيل هربي ونكرت له مالاحظته طول الطريق وسجلته ذاكرتي عن الحصو التي شيدها الفرنسيون على قمم بعض الجبال.. الى آخر ماذكرته لك..

وسر الرجل جدا وضمني الى صدره وهو يقول: مرحى! احسنت صنعاً يا بيتيتي!

زوجها بالامير حسن الاطرش وبعد ذلك ببضعة ايام تحرك جيش الحلفاء وتخطى حدود فلسطين الى سوريا ولبنان،، والباقي تعرفه مما نشرته الصحف ومن برقياتي فقد عدت في اعقاب جيش الحلفاء الى دمشق، وسكنت قليلا قبل ان تقول: وارسلت لك برقيات عن رغبة الامير حسن في ان اعود زوجة له،، ونصحني انت بالقبول..

قلت: نعم وحسناً ما فعلت!

قالت: على كل حال كان الاحتفال بزواجنا فخماً جداً.. واعطاني الامير حسن يومها الفى جنيه.. وضحت انا وقلت: ثم اخذت منه الفى جنيه اخرى؛

ابتسمت رحمها الله وقالت:

نعم. وهل كثير ان يكون مهري اربعة الاف جنيه!

اسراف وسوء تدبير..

وهنا عادت السيدة امينة البارودي من طوافها بالمحال التجارية ومعها سيدة نهضت آمال وقبلتها وقدمتني اليها؛ وقالت السيدة انها تعرفني من قبل ان تراني لكثرة ما سمعته عني من آمال والسيدة واسمها شفيقة هي ارملة المحروم فخري بك النشاشيبي وقد قتل بعد ذلك بنحو شهر واد في احد شوارع بغداد اثناء زيارة له للعاصمة العراق وقيل ان القاتل من اتباع سماعة مفتي فلسطين، لان فخري النشاشيبي كان من الد خصوم المفتي كما انه كان متهماً بأنه من اصدقاء الانجليز ومؤيدي السياسة البريطانية في فلسطين..

وقالت السيدة شفيقة ونحن حول مائدة الغداء موجهة سؤالها الي: هل نصحتھا؟

قالت: سمعت منها ان (عبيك) الكبير في نظرها هو اسرافك في نصحتها.. ولكن عمرها ما كانت في حاجة للنصح كما هي الان.. قلت: انصحها في ماذا؟

قالت: في اسرافها الجنوني،، كانما المال يحرق راحتها فهي تريد الخلاص منه بأسرع مايمكن!

وهنا قالت اسمهان:

لم يحدثني في شيء غير هذا مذ حضر! قالت شفيقة: وهل حدثته انت عن لعبك القمار في بيروت؟..

ثم التفتت الى تقول قبل ان تتمكن اسمهان من اسكانها: لقد التفت حولها في بيروت بعض السيدات وذكرت

اسماءهن ومن من سيدات وأنسات اكبر الاسر اللبنانية الشهيرة العريقة يتلفننها ويدعونها لسهراتهن وحفلاتهن ويحطنها بمظاهر الاجلال والاكرام!.. والمجنونة تظن ان هذا كله حبا في سواد عينها وماهو الا طمع في مالها لانهن علمنها لعب البوكر وهي لاتفهم شيئاً ولن تفهم شيئاً في لعب البوكر والنتيجة هي انهن يربحن منها في كل سهرة مئات الجنيهات.. فهل يعجبك هذا الحال؟

قلت طبعاً لا، ولكن لعله يعجبها هي! ومضت السيدة شفيقة واسمهان ساكتة لاجنب مضت تقصص على تفاصيل تصرفات لها تدل على الغفلة وسوء التدبير، ومنها مثلاً ان (صحفياً) خدعها و اوامها اغندعه مشروعا صحفياً ناجحاً لاصدار جريدة يومية رأس مالها الفان من الجنيهات فهل تشترك معه بنسبة النصف في مشروعه الناجح المذكور.

ودفعت له اسمهان الف جنيهه.. وصدرت الجريدة.. ثم احتجبت بعد اسبوعين اثنتين!

الى اخره..

لاجنب انن وهذا حالها اذا كانت انفتحت خمسة عشر الف جنيه في خمسة شهور!؛

واخيراً تكلمت اسمهان فقالت انها ليست (مغفلة) كما نظن بل هي تفهم وتدرك كل شيء ولكن..

و(يعني) لفظ او تعبير لبناني ممكن ان تعني به كل شيء اي شيء ولاشيء،، ولعلها ارادت منه هنا ان تقول انا اعرف انهم يضحكون عليّ ويتزنون مالي ولكن ماذا بهم مالمت جاد في هذا تسليتي..

ثم مضت اسمهان تقول ان كثيرين من وجهاء القوم وكبار التجار يقصونها لكي تتوسل لهم في مسائل معينة عند السلطات الانجليزية او الفرنسية وخصوصا عند الجنرال كاترو الذي يجلبها كائنته ويعطف عليها كثيرا،، ويعدونها بانهم سوف يدفعون لها مبلغ كذا او يقدمون لها هدية كيت اذا نجحت وساطتها..

قالت: وكثيرا ما نجحت وساطتي في المسائل التي كلفوني بها وجنوا هم منها ارباحا طائلة ولكن قليلين جدا منهم هم الذين وفا بوعدهم لي..

.. وان تاجرا وماليا كبيرا معروفا في لبنان ومصر وانا اغفل هنا نكر اسمـه وكان صاحب ومدير شركة كبيرة للاستيراد والتصدير وقد ورد اسمه في الكتاب الاسود الذي نشره مكرم عبيد باشا تقرب اليها هو والسيدة زوجته.. بل وحنطة زوجته من نفسها اشبه بوصيفة للبلاد و انها، اي آمال اضطرت بعد هذا ان تهرب على ظهر جواد!

قالت: سمعت منها ان (عبيك) الكبير في نظرها هو اسرافك في نصحتها.. ولكن عمرها ما كانت في حاجة للنصح كما هي الان.. قلت: انصحها في ماذا؟

قالت: في اسرافها الجنوني،، كانما المال يحرق راحتها فهي تريد الخلاص منه بأسرع مايمكن!

وهنا قالت اسمهان:

لم يحدثني في شيء غير هذا مذ حضر! قالت شفيقة: وهل حدثته انت عن لعبك القمار في بيروت؟..

ثم التفتت الى تقول قبل ان تتمكن اسمهان من اسكانها: لقد التفت حولها في بيروت بعض السيدات وذكرت

ولكنه لم يكتب عقد الشركة حتى اليوم! بل انقطع هو والسيدة زوجته عن زيارتي!..

الاميرة آمال الاطرش!

وفي مساء اقامت اسمهان او الاميرة آمال الاطرش حفلة استقبال في الصالون الكبير الملحق بجناحها الملكي؛ في فندق الملك داود.

وكان بين مدعويين بعض كبار الضباط البريطانيين والاعيان وقناصل الدول الاجنبية في القدس ومعهم السيدات قريباتهم.. ورأيت الاسراف الذي مابعده اسراف في الطعام والشراب. وقدمتني هي الى مدعويها على انني (اصديق عزيز على مصر).. ولكنني أثرت ان انزوي في احد اركان الصالون واخرج وابتسم بييني وبين نفسي!

هذا هو الجو الذي تحبه اسمهان.. جو الخفخة حتى ولو كان مزيفاً لاصدق فيه! الجميع ينادونها بلقب (برنسس) ويعاملونها على انها اميرة.. وهي تتحرك بينهم وتتحدث الى هذا وذاك.. ثم تنتقل وتشمل بعطفها هذا وذاك؛ تماما كما تتصرف اية اميرة في مثل هذه الحفلة؛ وقيل منتصف الليل نهضت الاميرة آمال الاطرش واقفة ايداناً بانثاء السهرة!؛ وايداناً لضيوفها بالانصراف.. ونهض المدعوون والمدعوات واقبلوا ويستأنذونها في الانصراف ويشكرونها الى آخره..

تماما كما يحدث في اي بلاط صغير!! هذا هو الجو الذي كانت تنفّس فيه آمال الاطرش ملء رئتيها وتحب ان تعيش دائما فيه.. المسكينة؛ ولعجب اذا كانت جملة حسابها الاسبوعي او (فاتورة) فندق الملك داود وحدها كانت لاتنقص عن اربعمائة جنيه.. اربعمائة جنيه في الاسبوع الواحد وللغنى فقط!؛

واقمت في القدس خمسة ايام تحدثنا فيها كثيرا وقلت لها في صباح اليوم الخامس انني سأعود غدا الى مصر..

قالت: وانا ايضا سأعود الى بيروت ولكن هل سيق لك ان زرت تل ابيب..

قلت: كلا..

قالت: لا يليق انن ان تغادر فلسطين قبل ان ترى تل ابيب كما انني اريد ان اشترى من هناك بعض الاشياء ولما كنت سأعود الى مصر بالقطار من محطة اللد وهي قريبة جدا من تل ابيب قد اتفقتا على ان نخضي غدا الى تل ابيب ونمضي بقية النهار والليله فيها.. وان اسقل القطار في الصباح الى مصر.. وان تترك لي للسيدة

امينة البارودي مهمة اعداد الحقايب على ان تلحق بها في تل ابيب بالسيارة ومن هناك وبعد سفري تسافران الى بيروت عن طريق حيفا والناقورة..

ونهيانا لي تل ابيب.

والاثر الذي تركته هذه المدينة انها اشبه بالمدن التي تشيدها ستوديوهات السينما في هوليوود ليلتقلوا فيها حوادث فيلم سينمائي معين فاذا ما انتهوا من الالتقاط المنظر.. هدموا المدينة وما فيها!

وقضينا السهرة في مقهى يقع تحت الفندق المذكور على شاطئ البحر. واقل رئيس خدم بحبي (الاميرة) باحترام كبير ويمشي بين يديها الى المائدة المحجوزة خصيصا لي.

ولعل احترام الرجل لم يكن لها ولا للقب الامارة بقدر مساكن لسخانها المغرط في الفقيشش فقد طلبت امال من رئيس اوركسترا المقهى ان يعزف قطعة معينة.. ولبي الرجل طلبها.. ونفخته (الاميرة) عشرة جنيها؛ وفي الصباح وضعت حقيبتي في سيارة التاكسي التي كانت ستحملني الى محطة اللد..

ووقت امال تودعي وقالت:

هل تذكر تاريخ مولدي؟

قلت: في شهر نوفمبر اليس كذلك؟ وكنا يومها ٣١ أكتوبر.

قلت: نعم ٢٥ نوفمبر وانتظر منك ان تمضيه معي في القدس هل تعذني او اضطر لاجراء عملية جراحية اخرى لكي تحضر؟

قلت: اعدك.. ولا داعي للعمليات الجراحية؛ ووصلت الى القاهرة عند منتصف الليل ووجدت برقية رقيقة منها تذكرني فيها بوعدى ان احتفل معها بعيد مولدها القادم!..

مسلسل أسمهان.. سيرة تغلفها أخطاء تاريخية



ان حشداً لا حد له من الملامح الفنية جرى في مسلسل «اسمهان»بجدول في بعض مساره فاقد الضفتين، منها على سبيل المثال لا الحصر، التواريخ ميلاد أبطال المسلسل منها على وجه الخصوص فريد الاطرش واسمهان، الى جانب ذلك غياب الدقة في بث الاغاني التي ملأت عصرها، كأن يث المسلسل اغنية (رق الحبيب) التي لحنها الموسيقار محمد القصبجي لصوت ام كلثوم في الثلاثينيات، بينما الصائب ان هذه الاغنية ولدت في العام ١٩٤٤ وهو العام الذي شهد نهاية اسمهان، وان يغني الموسيقار محمد عبد الوهاب اغنية

(الحبيب المجهول) امام اسمهان في بداية مشوارها الفني وهي الاغنية التي ولدت في العام ١٩٤٤، ثم هناك الاشارة العابرة الى الفنان فريد غصن حيث يكتبه فريد الاطرش وشقيقه فؤاد بالعم مع ان ولادة غصن في العام ١٩١٢ في الاسكندرية اسقاط ذكر زواج اسمهان من المطرب المصري المغمور (فايد محمد فايد) بالقدس في العام ١٩٤٢ ولم يدم هذا الزواج سوى عشرين يوماً، سعت من خلاله اسمهان للحصول على سمة الدخول الى مصر بعد ان طرأت على علاقتها مع الانكليز علامات الشك والريب!

وعلى امتداد المسلسل (اسمهان) تمر بنا سلسلة صور ومشاهد من اجيال وتنسج هنا وهناك من مسار، اسمهان، خطوط من الاحداث والمواقف والمتغيرات وتتراقص في وتيرة العمل الفني ومضات تتبدى وتثلاً وتختفي من مناطق السطح التاريخي، ومن ثم يؤدي ذلك الى اتساع التفاوت بين القوى الابداعية الحركة لاحداث المسلسل.

بلا جدال ان مسلسل (اسمهان) يقط روح العظمة في هذه المطربة الخارقة ويحفظ ايضا جميع امكاناتها الفنية في صراع شجي بغية صيانة تاريخها الحقيقي، ذاك الذي تداهمه قوى من الفوضى والتغيب الاسم الخالد في موكب الغناء العربي العريق والاصولي، ان اكتمال اسمهان الظاهري والباطني في اللحمة الغنائية العربية هو مغزى جميع الذروات التاريخية في مجراها وديمومتها واسمهان الاسم

الامر للحلفاء وانتهزمت الدولة العثمانية في العام ١٩١٨ وهو عام انتهاء الحرب العالمية الاولى، عمل والدها الامير فهد الاطرش معتمدا للدروز لدى الفرنسيين في بيروت وكان اعتماده سنوات عٌ وتُرف، وكانت والدة اسمهان الاميرة عالية ثوار اول سيدة قادت سيارة في بر الشام ولم يكن لهذا العُز امكانات الدوام حيث استقر ثورة جبل العرب بزعامة سلطان باشا الاطرش سنة ١٩٢٢، عندما اقدم الفرنسيون على اختطاف الثائر (ادهم خنجر) وقد انضم فهد الاطرش الى الثورة، ثورة جبل العرب وكان على الاميرة عالية ان تلحق بزوجها حيث يقاتل، لكنها خشيت سوء العاقبة، ولم تلحق به، وما كان لامير من اشراف الدروز ان يدع زوجته تعيش وحيدة فقد طلقها ثم جاء من يخبرها بان الفرنسيّ الذين خسروا الالف القتلى في حرب جبل الدروز جبل العرب يسعون الي اختطاف الاطفال لاتخاذهم رهائن انتقاما من ال الاطرش، وكان لايد من الهرب، فهربت الاميرة عالية المنذر بأطفالها فؤاد وفريد واسمهان من بيروت بالقطار الى حيفا في فلسطين ثم الى مصر في العام ١٩٢٣.

في العام ١٩٢٣، كان عام الاغُز ثُمرأ في مسار الحركة الموسيقية العربية. استقرار الجودة العظيمة ام كلثوم نهائياً في القاهرة قادمة من قريتها (طماي الزهاهرة) ثم انتظام الموسيقار محمد عبد الوهاب في صفوف معهد فؤاد الاول للموسيقا العربية، ثم رحيل العبقري سيد درويش ١٨٩٢-١٩٢٣.

ان سيكولوجيا الشخصيات الفنية تكتسب في انثارتها اهمية قصوى، على وجه التحديد، لانها سيكولوجيا طبقات اجتماعية يكاملها او في الاقل شرائح اجتماعية يكاملها، ولان العمليات التي تجري في نفوس شتى الشخصيات الفنية، هي بالتالي اظهار الحركة التاريخية، ان تطبيق الدروس على الظاهرات الفنية التاريخية يحمل معه

مضمونا جديداً كل الجدة لكلمة «معاصر»!

وفي القاهرة ومع اسمهان، تبدل العُز الى فاقة ونقل الاولاد باحسان المحسنين الى المدارس، وعُرف لقيهم هذه المرة من ال(كوسية) اخفاء لاسم عائلتهم الحقيقي خشية بطش الفرنسيين، وكُرت السنون وانتهت ثورة الجبل العرب في العام ١٩٢٦، لكن العائلة استقرت في القاهرة وبدأت تنسج خيوط حياتها الجديدة، بما فيها من قسوة وصراع وخشونة وتهافتت مسالك المجد السياسي التي ورثها ابناء الاميرة عالية المنذر، من عموهم لتحل محلها مسالك النزوع نحو الفن الذي ورفوه عن اخوالهم، وكان خالهم (خليل المنذر) الذي وافته المنية في عٌ شبابه.

لماذا اراد والدها ان يسميها (بحرية)؟

كان موت رافائيل وميكل انجلو وليوناردو دافنشي المبكى سيترك في فن عصر النهضة الايطالي ثغرة، وكانت هذه الثغرة ستترك اثرا بالغا في مظاهر ثانوية عدة من تاريخه، ولكن ماكان هذا التاريخ ليطرأ عليه لبذل جوهري اذا لم تحدث في مسار التطور الفكري لايطاليا تحولات عميقة! المهم ان موت اسمهان الغامض والمُاجيء والمبكر، كان من الممكن ان يحدث ثغرة كبيرة في فن الغناء، لو لم تفيض الاقدار السعيدة صوت ام كلثوم، التي استمرت تغني على مدى سنة عقود من السنين قبل اسمهان وبعدها. من هي اسمهان؟ التي حمل المسلسل اسمها وجسدت شخصيتها المثلثة السورية (سولاف) ومثل الموسيقار فريد الاطرش (احمد شاكر) الممثل المصري، واخرجه المخرج المغربي (الماجري) وكتبه (المالح).



مرفق اليوم الصور photos-eg.com

الذي انصرف الى زُوجة جديدة وعائلة جديدة، و التقى هناك بابن عمه الامير حسن الاطرش الذي اعطاه الكثير من اهتمامه رغم مشاغله الكثيرة، وقد طلب فؤاد من ابن عمه ان يجنده في طريق اسمهان المُوغل في الفن، واستجاب الامير حسن وتزوج من ابنة عمه اسمهان، واستطاع فؤاد ان يبعد عن بيت امه في القاهرة حشود الفنانين وان يبعد شقيقه الى دمشق ثم الى الجبل او هكذا كما اظُن.

اما فريد الاطرش فبقي في القاهرة مع امه شنيذ بناء شهرته ومجده الموسيقي درجة درجة، لكن اسمهان بعد ان انجبت من حسن الاطرش ابنة اسمتها (كاميليا) ضافت بها الارض بما رحبت، فأقدمت على الانتحار في دمشق اول مرة ثم انتهزت فرصة سفرها الى القاهرة عام ١٩٣٥ لزيارة امها لكي تنشذ الاستقرار في عاصمة الفن العربي ثم اصرت على البقاء في القاهرة طالبة من الامير حسن الطلاق فطلقها.. انصياعاً لحبها الشديد للفن.

ومابين عامي ١٩٣٦-١٩٤٤ سنة رحيلها عملت اسمهان على صنع المدهشات في الفن الغنائي لتسعد جمهوراً واسعاً وكبيراً وضعتها في مكانة متقدمة في عصر العمالة لاندانيتها مكانة، وفيما كانت تلهث وراء يوم تسعد فيه نفسها، فانها لا تصافد الا الماسي، لاختلاط الرؤية واقتارها بين الهم الشخصي والهم الفني، كما اشرنا، حيث جرت محاولة انتحار ثانية في القاهرة وثالثة في القدس، ثم زواج ثامن من المخرج (احمد بدرخان) مخرج فيلمها الاول مع شقيقها فريد الاطرش (انتصار الشيباب) ١٩٣٩ لايدوم سوى اربعين يوماً، ثم زواج ثالث من المطرب المصري المغفور (فايد محمد فايد) في القدس عام ١٩٤٢ وهو زواج حتمته الضرورة وكان عمر عشرين يوماً فقط سعت اليه اسمهان للحصول على حجة لدخول مصر بعدما حل الخصام والصراع مع الانكليز الذين تحالفت

معهم اول الامر لانتقام من الفرنسيين الذين قتلوا ابناءً شعبها. زواج رابع واخير من الممثل السينمائي (احمد سالم) لم يدم سوى اشهر معدودة حيث انتهى بتبادل اطلاق الرصاص الذي كان يزهُق روح احمد سالم وروح ضابط الشرطة، غرقت اسمهان في النيل مع وصيفتها (ماري قلادة) في الرابع عشر من تموز في العام ١٩٤٤ وهو اليوم ذاته الذي ولدت فيه ابنتها كاميليا، وتشكل هذه الحادثة حلقة المؤامرة الكبرى التي شاركت فيها اطراف عديدة.

القيمة الفنية لصوت اسمهان تتجلى، في انها مثلت بعقٍ وحُنان وبدف الخط المتأثر بالروح العصرية في فن الغناء عند الحناجر النسائية، بينما بقيت ام كلثوم حتى اليوم الاخير من حياتها تمثل الخط الكلاسيكي التقليدي في فن الغناء عند الحناجر النسائية، على ان تأثر اسمهان بالغناء العصري لم يجعلها تتغرب عن فنون الاداء العربي الكلاسيكي واصوله الضاربة في اعماق الباطنية التاريخية العربية. ان ام كلثوم قفزت بالغناء الاصولي والكلاسيكي قفزات مذهلة تجاوزت احلام استانها الاول الشيخ ابو العلاء محمد (١٨٧٨-١٩٢٧) على ان التجديد العائد لام كلثوم في انماط الغناء العربي الكلاسيكي، كان تجديداً لاصول ذلك الغناء لا تغربا عنه، اما في الظاهرة التي مثلتها اسمهان، فان الامر يختلف باختلاف الانطلاق الفني عندها، فقد عملت على ادراج عناصر التجديد الاوروبي في الاداء الذي حمل رايته ثلاثة من كبار ملحنى الموسيقا العربية، هم محمد عبد الوهاب، محمد القصبجي، فريد الاطرش، على ان صوت اسمهان كان يأخذ من اساليب الغناء العربي باكثر من اتجاه وتنوع، لعل في المقدمة من هذا الاختلاف.

صوتها الامال في القصيدة الحديثة التي كان قد بدأ بها اتجاهه الفني في تطوير قالب القصيدة (بالعينيك وبالي) شعر احمد فتحي، شاعر الكرك التي لحنها وغناها محمد عبد الوهاب وفريد الاطرش شقيقها الذي وجد في صوت اسمهان المدى العريق الذي يغنيه عن جميع الاصوات، فعبر صوتها ارقى سمات اللحن فأصبح الموسيقار الذي لحن اكثر اغانيها على الاطلاق، فالى جانب قيامه بتلحين اغان وحواريات طقاطيق وقصائد واوبريت ليل الاندلُس لفيلم (انتصار الشباب) لحن لها اغان من وزن (نويت اداري الاسمي) و(رجعتك يا حبيبي) ثم (عليك صلاة الهه وسلامه) ثم (ليالي الاس في فيينا) (انا اهوى) وموال (ياديرتي مالك علينا لوم) ثم (اعمل ايه علشان انسالك) وكثير غيرها.

ومحمد القصبجي، الموسيقار الذي عمل على تكريس صوتها لإحانته المشرقة القوية، وهو الذي اعطى ابعاد هذا الصوت العظيم يقوم على جهود ملحن واحد هو فريد الاطرش، قبل ان يتجه الى صوتها ملحنون من وزن محمد القصبجي ومحمد عبد الوهاب ورياض السنباطي ثم فريد غصن ومدحت عاصم وايضاً الشيخ زكريا احمد. كان لصوت اسمهان خصائص عظمية قلما تتوُفر عند غيرها من المطربات، ان لم نقل انها عسيرة على الاجتماع تمامً في صوت من الاصوات، حيث تستطيع اسمهان ان تؤدي مختلف المقامات بسهولة ويسر، هرع الى صوتها الموسيقار محمد عبد الوهاب، حيث وجد فيه القيمة والانتساع والبلاغة الالائية تلك التي تمكنه من ملامح المقابلة مع صوته العظيم، لكي تؤدي معه مغناة (مجنون ليلي) الخالدة : شعر احمد شوقي، ومدحت عاصم فقد وجد في صوتها مقدرة متكتملة تستطيع ان تؤدي المقامات الخالية من ربع الصوت، فأعطاهما لحن (دخلت مرة بجنيئة) والموسيقار رياض السنباطي الذي عقد على الابداعات النقدية في الموسيقى أي جدل فيما يتعلق بعظمة صوت ام كلثوم وعظمة صوت اسمهان، لكن الجدل احترم وفاق وانتشر في المفاضلة بين اسمهان وام كلثوم نفي ما كان يرى الموسيقار محمد القصبجي ان اسمهان اعظم صوت ادى ضروب التحديث الغنائي، وجد الموسيقار، ان اسمهان كانت ستقود المنافسة مع ام كلثوم (فيما لو عاشت) الى ذروتها، واضاف ان اسمهان لو عاشت، لما احتاج الى الحانة أي صوت اخر! بينما يرى الموسيقار، محمد عبد الوهاب، ان اسمهان صاحبة نبرة جديدة لا تخطر على بال احد في الغناء العربي، ويرى الموسيقار رياض السنباطي، بان اسمهان هي المطربة العربية الوحيدة التي ارتقت الى مرتبة المنافسة الندية مع ام كلثوم.

صوت اسمهان من حيث المساحة الصوتية يضم من التصنيفات للصوت النسائي فثتي (السوبرانو) ثم الاوكتاف (سبعة درجات ويقلل بالثامنة) وخامة صوت اسمهان أي نبرته، هي لاشك من اجل الاصوات المعروفة شرقاً وغرباً وفيه من الانوثة والدفء الانساني مايجعله متفوقاً بالمعايير العالمية. لقد اتاح مسلسل (أسمهان) ان نتحدث عن الكُتُن المختر في حنجرتها الصاعدة، وان نكتشف عناصر حية في حنجرتها في سلم تعبير الفن، عناصر مطابقة في سلم ايقاع الاشكال الحياتية، ان اسمهان بقيت الصوت الحضر الواسع والسليم والفني والذري بمقاماته ودقته وتعبيره، وصوت اسمهان يكشف عن معرفة غزيرة بمسالك الغناء، والمعرفة فوّ، ومن خلال ذلك تشكلت عناصر العظمة في صوت اسمهان الخارق.

هذا المقال سبق ان نشر في جريدة الندى عام ٢٠٠٨





كيف ختمت أسمهان حياتها وهل قتلت؟

خالص جليبي

التركية، وأعيدت إلى لبنان. وأما نهاية أسمهان الدرامية فبقدر نهايتها غرقاً في ترعة النيل، حين قفز السائق من العربة وترك العربة تنضى باتجاه الهاوية، بقدر غموض دوافع القتل، وكان مبلغاً كبيراً يومها. فقد قفز السائق من السيارة وترك أسمهان وصديقتها لمصريهما فماتتا غرقاً. واختلفت التفسيرات في هذه النهاية في عدة سيناريوهات؛ بين الغرق الطبيعي؛ أو انتحار أم كلثوم المناقصة لها دون دليل بين؛ أو صراع السياسات في المنطقة بين إنجليز وألمان وطيّان؛ أو قصة الشرف عند الدروز لما شاع عنها من مصاحبتها أكثر من واحد، ومحاولتها الزواج من أحمد طلعت وغيره دون نجاح؛ وقد تكون مطلوبة من أكثر من جهة؛ فاشتركت مجموعة من العناصر في نهايتها، كما في قتل الحريري وكنيدني واختفاء موسى الصدر، وفي العادة كما تعلمنا في الطب أن أي مرض ينحصر، تشترك فيه عادة باقة من العناصر مع ترجيح بعضها، ولكن العامل الداخلي هو الأساس في انفجار الأحداث، ويلعب الدور الخارجي عنصر الإبران، لحقيقة من حزمة من العناصر الداخلية المخترعة. ومن أغرب الحوادث في موتها أنها كانت تتدرب على غناء شعر أبي العلاء، وبينما كانت تسوق السيارة يوماً وهي تترنم بشعر أبي العلاء؛ غير مجد في ملتي واعتقادي، فوصلت إلى قوله صاح هذي قبورنا تملأ الربح فأين القبور من عهد عاد؟ فأصبحت نبوة إغماء فقدت معها السيطرة على المقود، فسارع من حولها لإنقاذ انحراف السيارة، فلما افأقت قالت: كاني في جنازة في السويداء بتقديمهم المقرئون مختلطة ترانيمهم بأزيى الطاحونة هناك، وبعدها بأربع سنوات عام ١٩٤٤م ماتت أسمهان في الطريق نفسه على الطريق نفسه عند القطعة نفسها بجنت الترعة.. فكانت ملائكة الموت تزف لها الخبر قبل وأنه بنوع من اللاوعي غير المفسر حتى يومنا هذا ولكنه يتكرر لكل واحد على نحو غامض. رحمك الله يا أسمهان وسامحك الرب على هفواتك.. ماذا لو بقيت للفن دون سياسة ألم يكن أفضل للتراريخ؟

عن جريدة الرياض السعودية

ورجل قبل أن تبصر النور كاملة، وقد جاءت هذه الرائعة الفنية، في رأيي، ذروة غير مسبوقه وغير ملحوقه، في التحسين والغناء المسرحي العربي، الذي يجمع بين أعرق أصول وجذور الغناء العربي الكلاسيكي، وأرحب أفاق الأوبرا كما وصل إليها أربابها في الغرب، الإيטاليون. ومن بين كل الثنائيات التي غناها عبد الوهاب في حياته، مع أصوات نسائية ممتازة مثل نجاة علي وليلي مراد ورجاء عبده ونور الهدى، فإن من يستمع إليها كلها اليوم، ثم يستمع إلى مغناة (قيس وليلي)، يرى أن كل هذه الثنائيات كانت مسرحاً لغناء الأستاذ مع تلميذته، أما أسمهان، فقد كانت على صغر سنها في غمت دور ليلي (٢٧ عاماً أو أقل) أقرب المغنيات إلى أستاذية عبد الوهاب في الغناء.

صحيح أن أسمهان، اخفت بعد ذلك مفاجأة من ساحة العصر الذهبي للغناء العربي، قبل أن تكمل المشوار. غير أني ممن يعتقدون، أن كل الأصوات النسائية العربية الممتازة التي أكلمت المشوار فيما تبقى من عمر العصر الذهبي للغناء العربي، إنما كانت تنتمي إلى إحدى المدرستين الكبيرتين لأسلوب أم كلثوم أو أسلوب عبد الوهاب، الذي كانت أسمهان، ومازالت - في رأيي - بعد ظهور كل الأصوات النسائية الممتازة بعد رحيلها، زعيمته النسائية. صحيح أن كل المطربات الكبيرات بعد ذلك، تميزت بشخصيتها الخاصة، وبنبرتها المميزة، وخصائصها التي تميزها عن سواها. لكن ذلك لم يمنع انتماءها العام إلى هذا الأسلوب أو ذاك، الذي انطلقت منه حتماً، وإن وضعت عليه بعد ذلك، بصماتها الخاصة.

هذا هو، في رأيي، السبب الفني الرئيسي، الذي يجعل أسمهان حاضرة في الأذهان بعد مرور ستين عاماً على رحيلها. ومع أن أعمالها الخالدة لم تتجاوز في مجموعها الثلاثين أغنية (ينحتها أي صوت نسائي في هذه الأيام في موسم غنائي واحد)، فقد بقيت أسمهان مع كل ذلك، متربعة على العرش، كأنها رحلت أمس، أو كأنها باقية لم ترحل. يضاف إلى كل هذه الخصائص المكتسبة، موهبة إلهية لم تتكرر حتى الآن، تتمثل في حنجره نسائية لم يعرف الغناء العربي النسائي حتى اليوم، أو تاراً صنعت من معدن مواز لمعدن صوت أسمهان أو مشابه له، أو قريب منه.

من كتاب اصوات عربية ١٩٨٢



مع والدها واشقاتها

(رجعت لك يا حبيبتي)، ونموذجين رائعين خالدين في الرومانسية العربية الرفيعة: نويت أداري الأمي، وليالي الأسس في فيينا.

أما من الحان السنباطي، فقد غنت أسمهان واحدة من روائع القصائد الحديثة، لحنا وغناء: يا لعينيك ويالي، وإحدى ذرى القصائد الدرامية الخالدة في تاريخ الموسيقى العربية والغناء العربي، (أيها النائم)، وواحدا من أعظم الأناشيد التي أوجدت صيغة عبقرية بين عظمة التشيد في أوبرات فيردي، وأصول المقامات العربية، هو تشيد (الأسرة العلوية) في فيلم (غرام وانتقام)، الذي منعت إذاعته لأسباب سياسية، ولم يعد اليوم من مبرر لعدم إذاعته، سوى التخلف والإهمال.

ومن الثابت والمؤكد أن فيلم (غرام وانتقام)، آخر أعمال أسمهان الفنية، شهد ذروة انفجار مرجل الغيرة الفنية لدى أم كلثوم، ليس فقط للذروة التي كانت أسمهان قد بلغتها، بل لأن اثنين من ملحنَي أم كلثوم المعالقة (القصبي والسنباطي) قد انصرفا لتحفيظ أسمهان في ذلك الفيلم، بعضاً من أعظم الحانها.

أما محمد القصبي، فبعد رائعته (ليت للراق)، زود أسمهان بروائع مازالت إلى اليوم سابقة عصرها، فيها القصيدة الكلاسيكية الحديثة (اسقنيها)، ومنها تحفته الرومانسية التي لاتزال تبدو وكأنها مكتوبة للقرن الحادي والعشرين (إمتى حترعف)، ومنها أخيراً رائعته الخالدة (يا بطيور) التي لم يستطع ملحن عربي حتى اليوم أن يهتدي إلى أسرار معادلتها العبقريّة بين أساليب الغناء الأوبرالي الجاد، وأساليب الغناء الكلاسيكي العربي المرتبط بمخارج الحروف في الكلمة العربية، المغايرة لطبيعة الأوبرا الإيطالية واللغة الإيطالية. وما تنبه أحد إلى اليوم أن أكبر أسرار هذه المعادلة، هو أن القصبي لم ينطلق إلى الأوبرا من فراغ، أو من عقد نقص، بل من امتلاك متمكن لأساليب الغناء العربي التقليدي المستند إلى جذور الانتشاد الديني، وهي المعادلة عينها التي أبدع عبد الوهاب صباغتها في عدد من روافعه، بينها على سبيل المثال: الليل يطول علي، وأهون عليك، والظلم دا كان ليه.

ووسط هذه الغاية من الروائع التاريخية الخالدة، التي تزاحمت في سنوات أسمهان السبع الأخيرة، جاءت مغناة (مجنون ليلي)، وهي جزء من مسرحية (مجنون ليلي) لشوقي، التي استمر عبد الوهاب بتلحين مقاطع منها،



اسمهان.. اسطورة الغناء العربي

وقد قدر لأسمهان، في فترة التكوّن الأولى تلك، أن تتال رعاية نفر من كبار الملحنين والعازفين، أمثال داود حسني (الذي حوّل اسمها الأصلي (أمال الأطرش) إلى اسمها الفني (أسمهان))، وفريد غصن ومحمد القصبي ورياض السنباطي، بدايات أسمهان في دنيا الاحتراف دخلت بعد ذلك في المرحلة الأولى، حتى العام ١٩٣٣، وكانت هذه البدايات تدور في فلك زعيمة الأصوات النسائية في المرحلة الكلاسيكية الجديدة: أم كلثوم. والحقيقة أن من يراجع سجل أغنيات أسمهان في هذه المرحلة الأولى، التي سبقت العام ١٩٣٣، عام زواجها بآبن عمها الأمير حسن الأطرش، يجد فيها كثيراً من التشبه بمرحلة ليلى مراد الأولى، التي كانت أقرب إلى الكلاسيكية المحافظة، قبل أن يكتشفها عبد الوهاب في فيلم (يحيا الحب)، ويطلقها نجماً ساطعاً في سماء الغناء العربي الرومانسي الحديث.

الأسلوب الوهابي

عندما بدأت المرحلة الثّانية، والأهم في حياة أسمهان الفنية، بعد عودتها إلى القاهرة، هرباً من قيود الزواج، كانت أساليب الغناء العربي الكلاسيكي قد أن لها أن تتبلور وتتخذ أشكالاً واضحة المعالم والحدود بين أسلوب وآخر، بعد مضي اثني عشر عاماً ونيف على انطلاق تجربتي أم كلثوم من جهة (مع فريق ملحنها الأوائل) وعبد الوهاب من جهة ثانية. وأنا ممن يعتقدون أن العصر الذهبي للغناء العربي المعاصر، الذي امتد نصف قرن كامل من الزّمان بعد سيد درويش، فيما بين ١٩٢٥و ١٩٧٥، قد تسيد بشكل عام أسلوبان رئيسان في الغناء: أسلوب أم كلثوم، وأسلوب محمد عبد الوهاب.

ليس معنى هذا الاستطراد الجانبي المهم في مقال عن أسمهان، أن الأسلوبين كانا متعاضدين، أو متناقضين، فقد ظلت وشائج من القواسم المشتركة تجمع فيما بينهما من البداية إلى النهاية، ولكني أزعّم من مجمل غربلتي لعصارة هذا العصر الذهبي بعد معايشة مطولة لهذا العصر، أن الأسلوبين كانا أقرب ما يكون إلى بعضهما في القواسم المشتركة، عندما كانت عبقرية القصبي التجديدية، هي سيدة الموقف فيما تغني أم كلثوم في الثلاثينيات. وخاصة القول فيما يجمع بين الأسلوبين، ويفرق بينهما، أن الأسلوب الكلتومي قد استقر على

الفجائي الغامض: هل هو يفعل تصفية سياسية، أم يفعل غيرة نسانية غرامية، أم يفعل غيرة فنية؟؛ غير أن ما تبقى من سطور هذا المقال، سينصرف تماماً إلى إلقاء ما أمكن من الضوء مجدداً، على القيمة الفنية عائلة الأطرش الكبيرة المحافظة، وهو الانتماء الذي كان قد تركز في زواجها من ابن عمها الأمير حسن الأطرش، والذي تخففت بالطلاق منه من الحواجز التي وضعها في وجه صغودها الفني الصاروخي. ورحلت أخيراً في خضم تحولات فنية عارمة، لأنها كانت قد نجحت في منتصف عقد الأربعينيات في التّرعّ على عرش الغناء العربي الكلاسيكي، على مسافة قريبة جداً من موقع الاسمين الذين سيطرا على قمة هذا العرش في القرن العشرين: عبد الوهاب وأم كلثوم.

اليوم، وبعد مرور ستين عاماً على رحيلها، وخضوع النصف الثاني من هذه المدة، لسيطرة الغناء الاستهلاكي، الذي نجح حتى الآن في سحب البساط من تحت عصور الغناء العربي الكلاسيكي الذهبية للتقاليد بين ١٨٧٥ و ١٩٧٥، في تطبيق مذهل للشعار الاقتصادي القائل: العملة الرديئة، تطرد العملة الجيدة من السوق، بعد كل هذه التطورات، تحضر الذكرى الستون لرحيل أسمهان، لتستعيد اسمها على أسنة أقلام بعض كتاب الصحافة العربية الراقية، وكأنها رحلت بالأمس، وهالة الكبر والخلود تحيط باسمها، طازجة مشعة باهرة.

والحقيقة أن حياة أسمهان قد عرفت - على قصرها - مرحلتين مختلفتين، لأنها كانت حياة فنية ثرية جدا، في عصر فني ذهبي فاحش الزّراء.

فيإذا عرفنا أن أسمهان قد استقرت في القاهرة في العام ١٩٢٣، طلباً لأماناً مع الوالدة علباء المنذر، الهاربة مليئة بالأسرار الشخصية والفنية والسياسية، التي لاتزال قيود التخلف العربي الاجتماعي والسياسي والثقافي والفني، تمنع الغوص عميقاً فيها كلها، دفعة واحدة، غير أن أقل القليل من الكتابات الحديثة، التي أشرت إليها، اتجه نحو الزوايا الفنية من حياتها، وأختر هذا القليل، كان مشبواً، كالعادة، نحو الأسرار السياسية التي أحاطت فعلاً بعلاقاتها الغامضة مع قوات الحلفاء (وقوات المحور أحياناً على ما يقال)، والأسرار الشخصية لحياتها التي تراجعت كثيراً بين الزواج والطلاق، والعلاقات غير الواضحة بكثير من رجال الوسط الفني من جهة، والوسط الاجتماعي، حتى قمته في القصر الملكي والعائلة المالكة، من جهة ثانية. وبعض المقالات لايزال منصرفاً إلى محاولة فك ألغاز موتها

أَسْمَعَانُ.. امْرَأَةٌ أَوَّلًا وَأَخِيرًا!



منار دیپ

مشهد من المسلسل المشروع نام طويلاً في الأدرج، وكادت الخلافات العائليّة والإنتاجيّة تقضي عليه. ثم جاء المنتج فراس إبراهيم وأقنّده. أسند إخراجهُ إلى التونسي شوقي الماجري المنكبّ حالياً على التصوير بين مشتل حلو في طرطوس وبيت العطار في دمشق. هل يفلت مسلسل «أسمهان» من فخّ الاستعراض، ليقدّم قراءة نقدية لسيرة المرأة الأسطورة؟

تعتبر ضجة، مع الحرص على فرض عرض جيدة له، وبعد المصائر العقيدة التي مرت بها محاولة إنجاز المسلسل، وبمشاركة نجوم من سوريا ومصر ولبنان ينهضون بأعبائه.

فيها حدود التلفزيون، فمعالجة حكاية سهبان تتطلب الدخول في مناطق وعرة، الكاثورة على التقاليد الاجتماعية، ووضع اللولاء الوطني موضع التساؤل. وحتى مع صرار المجرى على أن شخصية سهبان

ليس لها حصانة (راجع "الأخبار"، عدد ٢١ نيسان/ أبريل ٢٠٠٨)، إلا أن التجارب السابقة في الدراما العربية في التعامل مع السيرة الذاتية لشخصيات تاريخية من أم كلفو إلى نزار قباني مع تعدد صانعيها، تظهر ذلك الميل لتلميع تلك الشخصيات وتحميلها فوق طاقاتها في كثير من الأحيان، وخصوصاً إذا جازلت الشخصيات نجوم محبوبون، وما تزدل تجربة تيم حسن في "الحافوف" مثالة في الأنهار.

تحال الشخصيات التاريخية التي تعالجها السينما والدراما العربيان على الفور إلى ما هو جماعي وعام وطني. لقد تقاطعت في حياة المطربة أسهان مساهمات تاريخية لدول وشعوب، ومكنها ظرف حياتها الفريد من أن تسهم في لعبة الأمم: وقفت عن كئيب، بشكل خصوصية ما مثقته، على ما يرسم للمنظلة، وكانت قريبة من مراكز صناعة القرار عبر علاقاتها الشخصية كثقانة وامرأة فائتة، وكأميرة سلبية لأسرة كان لها دور مركزي في النضال الوطني ضد الاستعمار، وأيضا كشخصية استخباراتية لا تخفى علاقاتها وعملها مع أجهزة أجنبية عدة، بغض النظر عن الدافع.

في كتابها "أسرار أسهان" (صدرت ترجمته العربية عن دار المدى في عام ٢٠٠٧)، تقدم الباحثة شريفة زهور قراءة نسوية لشخصية أسهان. فحياة هذه المطربة هي سلسلة من التمرّات، أوْلاً على النموذج الذي يعدّ سلفاً للمرأة الشرقية، (فعلم في الفن هو تمرّد، مع قدومها من بيئة محافظة)، ثم مع أدائها لدور سياسي (وهذا شأن الرجال عادة)، وصولاً إلى حياتها الشخصية التي تميّزت بقدر كبير من التحرر حتى بمقاييس اليوم. فهي لم تكن المرأة الجميلة والغامضة، والفتاة الموهوبة التي يسعى الرجال من عليّة القوم إلى خطب ودّها فحسب، بل كانت امرأة تعبّر عن رغباتها وتمارسها وتعيشها. ويظهر ذلك في سلوكها، وفي غلب أغانيها، على رغم أنّها كان من صنع آخرين من ملحنين وشعراء وهم رجال طبعاً. لكن الشحنة التعبيرية التي صنعت خلود هذا الصوت النادر تظهر إلي أي حد كانت المطربة السورية تعيش ما تغنّه.

كل هذه الحياة الصاخبة التي عاشتها أسهان، تدفعنا إلى التساؤل: هل سينجح المسلسل في كشف الألغاز التي تحيط بالفنانة السورية حتى مماتها، أم سيكون مجرد عمل استعراضي؟

عن العربي الجديد

لم تعرف تلك الصبية الصغيرة أن القدر كان يخبئ لها كل تلك التناقضات التي يمكن أن يعيشها إنسان على هذه البسيطة. صحيح أن حياة لم تملأ بالخطر والحوادث، النجاش والفشل والأبيض والأسود وما بينهما، إلا أن اسمها كانت كل حادثة الدنيا ومرآتها وكأنها عرفت في قرارة نفسها أن عمرها قصير (١٩١٢ - ١٩٤٤).

ستون سنة مضت على غياب صاحبة "ليالي الأسس"، و"رقم ما بينا" و"يا ليالي البصر" و"عنت يا حبيبي"، و"أهوي"، و"ليت للبراق عينا"، و"أنا لي أساهل" وما تزال دموع حجاج بيت الله، تنهمر في كل عام مع اغتيابها الأقرب إلى الداء عليك صلاة الله والسلامة بخبر الخوع والتوبة، باعثة إلى الرحمة، البندى إلى مرقد النبي.

الصوت الحزين لما يزل يرن في الأذهان كلما
استحضرنا صورتها أو سيرتها أو مشهداً
من أفلامها، إذ حيرَ النقاد والموسيقيين
والمحنيين والمتذوقين والعشاق على حدٍّ
سواء.

أسمها: الخبرة الشجيرة في عالم الأغنية
العربية، والشخصية الغامضة الواضحة
معاً. عاشقة المال والمال، والهجة (والحنن)،
لطاماً دفعتها مشاعر مجهولة، قوية لا تقاوم،
ولهفة إلى كل تجربة جديدة ومغامرة، مهما
ذُبحَتْ بها، بعيداً أو قريباً، من دون أن تهاب
موت، أو تردعها تقاليد أو قيود، وكأنها
شاعت عن قصد وإصرار، عن غير قصد
أن تكون حياتها شريطاً سينمائياً، أقرب إلى
الخيال منه إلى الواقع، فهي سطرحت حياتها
بقصص الفقر واللام الفخشي والجسدي
وسلسلة مغامرات، بدءاً باللهو والسهرة
والحب والذلة والمأثم، ووصلت حتى
الجاسوسية، بحيث لا يتعذر كثيراً أن
قصص أغاني كريستي الخيالية الشهيرة،
وعاشت حياتها بكل ما هو مشوق، وغريب،
أزهر معتاد من امرأة شرقية، عربية، وذات
أصول نيلية، لتبقى سيرتها مثلاً للمرأة
المتحررة على كل شيء.

هل كانت بذلك تتنقم من تلك الحياة التي شاء لها القدر أن تبدأها بالترحال والهروب منذ لحظة ولادتها وحتى لحظة مماتها، وكأنها تقول لنفسها وللعالَم أجمع: إنكم لم تتوقعوا

طعم الذل والحرمان، ولم ترضعوا الخوف كما رضعته، ولم تجربوا المحن في أيام الطفولة السوداء، في أوقات لم أجد من يحن علي وعلى عائلتي بكسرة خبز.

بعيدا عن الوجهة التي لها مكانة مثال الأنثى الطاغية والسيطرة الذي لا يقوم، جمال وجهها الحزين كان سلاحا تستمدد فيه القوة لتنتال مرادها من العقول والقلوب. عقول وقلوب

الرجال التي طالما ضعفت أمام شخصيتها المحيرة، حتى إن الصحافي محمد التابعي أقرب أصدقائها، قال إنها يمكن أن تبكي بمسوح غزيرة في لحظة، ومن ثم تضحك من قلبها في لحظة أخرى. امرأة استعصت على الوصف حقاً، وقد لا يملك امرؤ أن يتخذ موقفاً معيناً منها، أكثر ما حوته شخصيتها من غرائز السلوك وتناقضاته.

جمالها وجسدها الناضل وشكلها العام قد
نثير المواقف المتناقضة منها وقد يختلف
البعض حول جمال وجهها أو جسدها، لكن
في أي زمان وفي أي مكان لم يختلف اثنان
على حلاوة صوتها، والقشعريرة التي
يعتثها فينا حين نستمع إليه.

عرفت الفقر والغنى. لقيت الفئانة أسفها
وعنقت لقب الأميرة أمان. أحبت الغناء
وكرهت الإذلال، تأملت وفي بعد غصة،
أضطرها العزول أن تقي ساعات، تغني
في صالات شارع عماد الدين، حيث كانت
تطوي ألامها، وتغالب دموعها كي لا تسيل
أمام جمهور من السكارى والتغلمن يقدفونها
بكتات والفاظ خاصة برواد لك الصالات.
أحبت الغناء لأجل المازج، لا من أجل المال،
والغناء لنفسها ولودتها ولمن تحب ولن
تراح إليهم، لكن الغناء بالأجر مقتها إذ
أصبح مهنة التي لا تستطيع التخلي عنها،
بل تعتبره مهنة أسمى من مهنتها.

كانت تثور على هذا الوضع أحياناً، لكن ليس بيدها حيلة، فهي مضطرة للاستمرار كي تعيل نفسها وعائلتها. ولطالما رفضت الجلوس مع رواد الصالة بعد انتهاء وصلتها كما كان متعارفاً، وقد حرصت شقيقها فؤاد وفريد على أن لا تلزمها العقود مجالسة الزبائن.

سبع سنوات حافلة بسبقت وفاتها، تعتبر من أفضل سنوات حياتها، نالت فيها الشهرة

والمال، بعد تعرفها إلى طلعت حرب باشا الذي قدمها مع شقيقها فريد إلى الموسيقين والمحمين والإذاعة وشركات الأسطوانات فأصبح منزل العائلة في ذلك الوقت، في حي غاردين سيتي يستقطب المحمين والشعراء والمثجين والمخرجين الذين كانوا يملطرون أسمهان بشعارية غزيرة للسليمان والمرح والجميع بأسور شبابها وجمالها وأنوثتها الطاغية وصوتها المبدع.

أي سَرٍ في هذا الصوت المتألس الذي يَأْسُ
 القلوب ويحشطن القوة، وأجنادته ألقى الغممة
 بالبلاء وبالحزن الشَّجْب، بل قدرته على
 بصم أي أحن بصمته، وتقليب ألقاه
 بخصوصيته، وإسباع صفة الدرامية
 الشجيعة إليها، صوت حمل كَمًا من الصفات
 التي كان يوصف بها صوت متكامل العناصر
 ومومبه إلهية قلما يهبها الله للحجرة أو
 المستمع العادي يستطيع أن يشعر بآثارها.
 الصوت المتسوده، الأقرب إلى صفات
 الذهب، في رتيبه ولعانه، صوت أنثوي
 بالغ إضماراً، مرهف، يتون مع كل أغنية
 حسب مضمونها، ونوعية الدور المسند إليها
 في السينما، كما في الفن الحاد.

ظهرت أسهمان في زمن العمالقة. في أوائل الثلاثينات. أصوات كبيرة راسخة في الأذان العربية وأذهانها ووجدانها، حين كانت مواصفات معينة في الصوت لم يمكن أن

يخترقها أو تخرق قواعدها أي موهبة لا تتقيد بها، إلا أن ذهبي الصوت، أسلم تكبده أنفاه الملحن محمود الشريف. لم يتجادل بينهما على جمال صوتها وعلمته وقدرته على سلب الشاعر. ليس بأنوثته ونفثه حسب بل بمساحة التي هي فيه من الله في المرتبة الأولى حيث صم صوتها أكثر من أوتانين "دويان"، أي أكثر من خمس عشرة درجة على السلم الموسيقي. إضافة إلى قدرتها على التصويت من الرأس، حسب أسلوب الغناء الأوبري الغربي المتعارف لدى مغنيات السورباني. وقد نستعج إلى بعض المغنيات العربيات يستخدمن هذه الطريقة وبخاصة اللواتي من أصول مغاربية وتونس والمغرب والجزائر، إلا أن أسهان تميزت عنهن بصوت يثنى أثناء

A black and white photograph showing a woman in the foreground wearing a white, possibly feathered or sequined, dress. She is looking slightly to the right. In the background, a man in a tuxedo is visible, looking towards the camera. The image is partially cut off on the right side.



عريضا واضحا رنانا شجيا لا صارخا
حادا، بل يتدفق في غاية الحنان والسلاسة
والرقة.

ولو عدنا إلى أغنية "طايور" التي لحنها محمد القصبجي لوجدنا فيها كل وصفات الصوت الأويرالي الدرامي، تصاف إلى صفات الصوت الشرقي المعقّب بأنغام الإصالة والمألّوح بحرارة النبرة المقامة الشرقية بدقتها ورافقتها. فالعزف في الأصوات العربية ذات المساحة الكبيرة إنما تكون مثقلة للغمات الغريبة على حساب الشرقية، أو العكس، أما إقنّان الأسلوبين معا في الصوت الواحد فهو من التواتر وينطبق على أسماهان وغيرهن. وأم كلثوم في بدايتها على والرائحة نور الهدى، وإلى ما على المطربة التونسية الرحلة تدعى.

المحنيين الذين تعاونوا معها، وخبروا الصوت بتعبيره الدرامية، لا في مساحته الكبيرة فحسب، وبخاصة محمد القصصجي الذي لحن لها «يا بطور» وغيرها وشقيقها الراحل فريد الأطرش الذي استوحى من صوتهها أجمل الألحان بديلين أن الحانه لصوته وأغبره من مطربات ومطربين في ذلك الزمن. إذ وضع نفسه على مستوى الحانه لأسهمان، أخذت الجميل الحنينة تناسيا مع صوتهها، الفذة وأكبر مثال على ذلك، ليالي الأندلس» إضافة إلى غنائها ضمن أسلوب الغرب التقليدي الذي كان متبعيا في تلك الفترة. إلا أن أسهمان وبسبب هذا الصوت الموهي بالجنون والدراما جذبت الأسماع من خلال الألحان التي سبقت عصرها.



في تحليل بعض أداءات أسمهان، يقول الموسيقي سليم سحاب في "كتاب السبعة الكبار مؤلفه فيكتور سحاب " :...التعبير الإنساني يبقى أعظم ما في غناء أسمهان، وهو تعبير يكاد لا يستغني حالة من حالات المشاعر والأحاسيس الإنسانية، ففي أغنية"ليالي الأنس" فلا، تنتقل أسمهان بسرعة من مزاج إلي مزاج آخر وفقا للحن والمعاني، فمن: خيال ساري مع الأحلام حيث تغني بشغافية وإشراق بالصوت، إلى عبارة: "فحوت من غير ما تتهني" حيث تضفي حسبا دراميا علي النهاوند، وذلك لا استعراضا أو رضوخا لإغراءات الاستعراض، بل تعبيرا فنيا عن مزاج يظل شديد الوضوح في كل الحالات.

ويتابع سحاب:

في أغنية" يا حبيبي تعال الحقتي "، أربعة مقاطع على لحن يتكرر. والعبارات من بعدك، "أتألم"، في يدك، "لين قلبك"، تقولها أسمهان بأحاسيس مختلفة تؤدي تعبيراً مختلفا في كل مرة، وفقا للمعنى المطلوب، على الرغم من أن اللحن هو نفسه في العبارات الأربع. وعلى الرغم من أن العبارات المذكورة قصيرة للغاية، ولا مجال فسحها فيها للتعبير الإنساني الزخيم، إذ أنها تتشكل من علامتين موسيقيتين فقط. وتلاحظ في هذه الأغنية الشجنات العظيمة والحرارة الإنسانية المتدفقة في عبارة" وغرامي هالكتي .

ويتناول سحاب قدرة أسمهان في الوصول إلى مستوى عبد الوهاب في التعبير المسرحي في المغناة المسرحية قيس وليلي، فيما بلغت في تعبيرها الغنائي أعقابا مأسوية مؤثرة للغاية في أغنية"أيها النائم" من لحن السنباطي.

حكايات الفقر والبؤس

قصص أسمهان بدءاً بالفاقة في صغرها، تصلح بحد ذاتها أن تكون مادة غنية لفيلم سينمائي من أكثر الأفلام تراجيدية. بقيت تقص مضجعا حتى وفاتها، إلى حد القيام بأي شيء أو عمل كي لا تعود إليها.

حين تذكر تلك الفترة وترويها لصديقتها التابعة تتألم كثيرا، وبخاصة أيام حي الفجالة وتعرضها لسوء التغذية. في إحدى المرات نضب مورد الأسرة بعد سفر المليونير الأمريكي الذي كان يمددهم شهريا بما يوازي مئة دولار. في تلك الأيام عرفت أسمهان الجوع والحرمان إذ تذكر أن بيتهم خلا من أي طعام فأرسلتها والدتها لاقتراض بعض المال من الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، أحد الزعماء السوريين، وهو مقيم في القاهرة وعلى معرفة بأسرة أسمهان، وكانت قطعت مسافة بعيدة مشيا على الأقدام، وحين قابلته وأبلغته رسالة والدتها عن سوء حالهم قدم لها "ريالا" واحدا، عادت به إلى أمها، وعندما رآته والدتها بكت وبكت معها أسمهان وقدرت في ذلك الوقت بأنهم أوشكوا أن يتسولوا. وفي قصة أخرى تذكر أسمهان أنها كانت تزور أسرة الأمير(اي محسن بك، وكانت دارهم في شارع الشيخ ربحان بالقرب من ميدان عابدين. كانت تظن أنهم سيقولونها بسبيلتهم إلى منزلها في حي الظاهر، لكن السماء أمطرت بغزارة فعدلوا عن الخروج بالسيارة، وحين أقبل السماء والمطر لا يزال ينهمر خرجت بكريياتها وكأنها تريد أن تستقل سيارة أجرة، وقد خلجنت أن تقول لهم إنها لا تملك قرشا واحدا، فسارت تحت المطر وفي الوحول من عابدين حتى الظاهر وبعدها بقيت طريحة الفراش عشرة أيام.

وفي حكاية أخرى، تقول أسمهان:
.بدأت والدتي تعمل في خياطة الملابس للسيدات وكان ما تحصل عليه قليلا لكنه يقي شر الجوع والفاقة. وذات يوم شاعت المصادفة أن تلقني أُمِّي في دار صديقة سورية بالأسنداء داود حسني وهو من الملحنين القدماء، وسبق أن تعاون مع العائلة فنيا، وهنا المفاجأة حيث سمع الملحن حسني صوت الوالدة عالية المنذر وهي تغني عند صديقتها وتقر على الدف "الإيقاع" فسألها لماذا لا تحاول استغلال موهبتها هذه مثل أولادها آمال وفريد خصوصا أنها تملك الجمال والصوت الأصيل الذي ورثه فريد وأسمهان منها وكانت والدتها تعرفت إلى سامي الشوا عازف الكمان المعروف وهو سوري الأصل من مدينة حلب وهذان الموسيقيان ساعدا والدة أسمهان فنيا وأخذت تحيي الحفلات الخاصة عند بعض العائلات واتسع رزق العائلة قليلا حيث أمكنها إدخال فريد وأسمهان إلى المدرسة وتمتgam الدراسة التي توقفت في بيروت. وكانت عالية المنذر تعاقدت مع شركة "بيضاфон" لتسجيل بعض أغنياتها على أسطوانات فتوسط الملحن داود حسني عدال فسحها فيها للتعبير الإنساني الزخيم، إذ أنها تتشكل من علامتين موسيقيتين فقط. وتلاحظ في هذه الأغنية الشجنات العظيمة والحرارة الإنسانية المتدفقة في عبارة" وغرامي هالكتي .

ملحنون وشعراء

غنت أسمهان للعديد من الملحنين إلا إن أكثر الألمان التي غنتها كانت من نصيب شقيقها فريد الأطرش: "نويت أداري الآمي"١٩٣٧،"عليك صلاة الله وسلامه"كلمات بديع خيري، وفي فيلم"انتصار الشباب"عام ١٩٤١، لحن لها: يليلي هواك شاغل بالي، يا ليالي البشر"، كلمات يوسف بدروس، و"كان لي أمل "لأحمد رامي، يايدع الورد لحلمي الحكيم،"أيدي ف إيدك"، الشمس غابت أنوارها"لأحمدرامي،كذلك "أوبريت انتصار الشباب"لأحمد رامي. وفي فيلم"غرام وانتقام"غنت لفريد"ليالي الأنس"كلمات



أحمد رامي،"أنا أهوى"لمأمون الشناوي، وموال" يا ديرتي"لبيرم التونسي. وفي العام نفسه غنت لفريد"رجعت لك يا حبيبي". وغنت له"أنا بنت النيل"، وكذلك "نويت أداري الآمي"،"الليل"، غنت لمدحت عاصم أغنية "خلت مرة ف جنية"كلماته وألحانه،"يا حبيبي تعال ولحمد القصبجي غنت:"يا طيور"يوسف بدروس،"إمتى تحعرف"لمأمون الشناوي و"أنا اللي أستاهل"من فيلم"غرام وانتقام"عام ١٩٤٤.أسقتها"١٩٤٠ للأخطل الصغير"،"أين الليالي"،١٩٤٤،"فرق ما بينا"مطلعها ليوسف بدروس وبقيتها لعلي شكري، في يوم ما اشوكل"،"كنت الأماي"،"كلمة يا نور العيون"،"ليت للبريد عينا"١٩٣٨،"هل تيم البان"لأحمد شوقي.

لرياض السنباطي:"أيها النائم"عام ١٩٤٤، وحديث عيني١٩٤٤ في فيلم"غرام وانتقام"، وقصيدة أحمد فحتي يا لعينيك، ويا لي، وقصيدة لابن زيدون"أقرطية الغراء" و"الدياف إيدي والكل عبيدي". ولفريد غصن"يا نار فؤادي". زكريا أحمد:"هديتك قلبي"، عذابي في هواك أرضاه"وقصيدة أبي العلاء المعري"غير مجد في ملتي واعتقادي".

لمحمد عبد الوهاب غنت أسمهان أوبريت قيس وليلي للشاعر أحمد رامي، و"محلها عيشة الفلاح"لبيرم التونسي.

التابعي وأسمهان

نشر محمد التابعي، كتابا يحكي فيه قصته الكاملة مع أسمهان. ومحمد التابعي صاحب ورئيس تحرير مجلة"أخي ساعة"المصرية كان صديقا أميناً وصودقا لأسهان، وكان الشخص الوحيد الذي تسر له بالكثير من حكاياتها أيام الفقر وتخوفها الدائم من عودة تلك الأيام، وتشكو له كلما فاضت بها المشكلات. التابعي سمع صوت أسمهان للمرة الأولى، حين من بالصدفة بصالاة ماري منصور، في شارع عماد الدين، وهناك تذكر أنه وعد منصور بالمرور عليها، فقرر هو ونفر من

أوما فؤادي حديد ولا حجر.. لك قلب فسله يا قيس ينيبك بالخبر... تسلسل التابعي بهدوء وجلس في المقعد الخالي الوحيد، بجانب أسمهان...وبينما كانت أسمهان مشغولة عنه بالغناء، وهي التي طلبت أن تتعرف إلى التابعي قبل أسبوعين، أخذ ينظر إليها ويتأمل وجهها وهو مأخوذ بصاوة صوتها الحزين، لكن الآن ترتاح إليه، فوجهها ليس فيه جمال حسب المقاييس المعروفة، لكنها كانت جذابة وكلها أنوثة، أما أنفها فكان مرتفعا أكثر بقليل مما يجب وطويلا أكثر بقليل مما يجب، وفمها كان أوسع بقليل مما يجب وأظفارها إلى الأمام أكثر بقليل مما يجب. أما عيناها (و الكلام لا يزال للتابعي) فكان فيهما السحر والعجب والسر، لونهما أخضر داكن مشوب بزرقة، وتحميمها اهداب طويلة تكاد من طولها أن تشبك، وقد لاحظ أنها كانت تجيد استعمال سحر العيون عند اللزوم. انتهت بروفة أوبريت"قيس وليلي"قدم عبد الوهاب الأستاذ التابعي لأسهان فصدت يدها بتأثقل وتكلف ساذج وظاهر... تشرقنا... ثم جلس الجميع، فأخذت تصلح من وضع الثراء الذي كان يحيط بعنفها وتتعدم إظهار الخاتم في أحد يديها وفيه فص الماس، وقد احتارت أي ساق تضع على الأخرى، وكانت جميع حركاتها مكلفة وغير طبيعية، وأدرك التابعي أنها تريد أن تحدث

أصدقائه دخول الصالاة، فلم يجد مكاناً، فتوقفوا ليضع دقائق للاستماع إلى صبيبة تغني على المسرح بصوت رقيق حزين، كانت نحيلة ترتدي ثوبا أسود اللون، وقد لفت رأسها بإزار أسود، وكانت تغني وهي ساهمة تنظر أمامها من دون الالتفات يمينا أو يسارا، ومن دون أن تلقى بالا إلى صيحات المعجبين. تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها التابعي أسمهان، ليلتها تركت في نفسه شعورا بأنها إنسانة تبعث الرحمة في الصدور..

ولم يعد التابعي إلى صالاة ماري منصور ولم يسأل عن أسمهان حتى قرأ خبرا في الصحف عن زواج المطربة أسمهان من ابن عمها الأمير في جبل الدروز حسن الأطرش

وأنها أصبحت أميرة فاستغرب أو عرَ على التابعي أن يصدق أن فتاة من أسرة عريقة تحترف الغناء في شارع عماد الدين. حتى كان العام ١٩٣٩ وأما صدفة في الجامعة الأميركية في القاهرة، حين كان يهيم اسمها بلغم في سوء الأغنية في مصر، كلثوم، لم يتعرف إليها لكن صديقا له قال له هل رأيت أسمهان ونحن ندخل؛ فجة تذكر التابعي ذلك الوجه بإلزار الأسود الذي رآه منذ ثماني سنوات في صالاة ماري منصور، وعرف يومها أنها طلقت من زوجها الأمير السدري، فقال: إذن لم تعد أميرة في جبل الدروز. فأجابه الصديق: كلا وعادت كما كانت المطربة أسمهان. وفي اليوم التالي اتصل به الصحافي أحمد حسن وقال له: إن أسمهان تريد أن تتعرف عليك؟

للقاء لم يتم يومها، بل بعد أسبوعين وبطلب من محمد عبد الوهاب، حيث دعاه التابعي للجسيء إلى منزله فورا من دون إعلامه بسبب استعجاله. هنا يصف المؤلف سعيد الجزائري في كتابه"أسمهان ضحية الاختبارات" أول لقاء بين التابعي وأسمهان:
...وحين وصل التابعي منزل عبد الوهاب، وجده ممسكا بعوده، وأمامه أسمهان وكان الاثنان يراجعان أوبريت"قيس وليلي" وكانت أسمهان تقني لحظة دخول التابعي:
"وما فؤادي حديد ولا حجر.. لك قلب فسله يا قيس ينيبك بالخبر..."

تسلل التابعي بهدوء وجلس في المقعد الخالي الوحيد، بجانب أسمهان...وبينما كانت أسمهان مشغولة عنه بالغناء، وهي التي طلبت أن تتعرف إلى التابعي قبل أسبوعين، أخذ ينظر إليها ويتأمل وجهها وهو مأخوذ بصاوة صوتها الحزين، لكن الآن ترتاح إليه، فوجهها ليس فيه جمال حسب المقاييس المعروفة، لكنها كانت جذابة وكلها أنوثة، أما أنفها فكان مرتفعا أكثر بقليل مما يجب وطويلا أكثر بقليل مما يجب، وفمها كان أوسع بقليل مما يجب وأظفارها إلى الأمام أكثر بقليل مما يجب.

إلا أن الغريب في الأمر أن باشا آخر كان يتردد على أسمهان في الوقت نفسه هو مراد محسن باشا، وكان مدير الخاصة الملكية ويقال إنه أحب أسمهان كثيرا لكنه كان أكثر تحفظا واحتياطاً من أحمد حسنين باشا، وكانت هناك منافسة وغيرة بين الاثنين إلا أن مراد باشا أنهى علاقته بأسمهان بعد أن وصل إليه خبر علاقتها بأحمد حسنين باشا. رغم العلاقة الوطيدة التي ربطت أسمهان بالصحافي الشهير محمد التابعي إلا أن التابعي يصّر على أنها لم ترق إلى رابطة الحب أو الغرام، رغم أنه كان يذهب إليها في القدس في كل مرة تطلبه فيها، وبخاصة تلك المرة التي تعرضت فيها إلى التهاب رئوي حاد فلم يتركها بل جلس يمزّضها ليلا نهارا

أثراً طبيياً في نفسه، ومرة ثانية وبعد ثماني سنوات وجد أمامه الفتاة نفسها التي بحاجة إلى الرحمة في الصدور بل وتستحق العطف والثناء".

وبعد ذاك اللقاء صار التابعي من أقرب أصدقائها يعد صديقتها ماري قلادة التي لقيت حتفها معها غرقا.

الكل أحب أسمهان، وأسمهان أحبت من؟

لقد عرف عن كثيرين إعجابهم بأسمهان، واشتهرت قصص غرام بعضهم الآخر بها في الأوساط السياسية والفنية، هذا عدا عن رجال كثيرين عشقوها لكنهم لم يحظوا بكلمة منها أو حتى التقاطة أو اهتمام، حتى شارل ديغول أبدي إعجابه بأسمهان إبان عملها مع الحلفاء.

كان الملك فاروق على رأس لأكتة المعجبين، ومنذ أن بدأت الأضواء تسلط على أسمهان وبدأ اسمها بلغم في سوء الأغنية في مصر، وضعها ضمن اهتماماته وكان يرسل لها من يسأل عنها في محاولة لكسب ودها. وفي إحدى المرات أرسل لها مبعوثين خاصين مع تعليمات بأنه سوف يمنحها لقب"أميرة" رسميا، لكن أسمهان ابتعدت عن طريق الملك بنكاتها وتحاشت شبابه وسهامه، ليس تعففا منها. حسب المؤلف، إذ لو كان ذا مرتبة أدنى كرئيس مجلس وزراء مثلا أو وزير لما تأخرت في الاستجابة، لكن ابتعادها كان تقديرا منها للذات الملكية وخوفا من التورط.

أما الملك فاروق فلم يستطع القيام بشيء من محمد عبد الوهاب، حيث دعاه التابعي حيال رفض أسمهان له، ذلك أنها فنانة معروفة ومحبوبة لدى الجماهير وأي إجراء قد يتخذ ضدها ربما يعرضه إلى اقتصاص أمهر. أما أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي وحامل ختم الملك فكان الأكثر حظوة لدى أسمهان. كان يقابلها بشكل دائم في مكان إقامتها في جناح خاص في فندق مينا هاوس، لوجود هاتف يسهل عليها الاتصالات، وذلك رغم علاقته الحميمة بالملكة نازلي. كان رجلا وسيما يفنث النساء ويلفت النظر في أي حفلة أو مكان بسبب أناقته ومظهره الرجولي واسمه المدوي وتاريخه المليء بالمغامرات الحاملة ومنصبه الخطير وحديثه الساحر وخبرته العميقة بالنساء وطباعهن. استطفتة أسمهان وأعجبت به، بل وشعرت تجاهه بالحب، فهو حامل كل صفات الرجولة والاحترام والكياسة وهذا ما تطلبه المرأة في الرجل غالبا.

أما أحمد حسنين باشا فقد اندفع نحوها بشكل كبير وتودد إليها كما أسلفنا وأصبح الأمر معروفا لدى الجميع وقالوا إنه غارق في حبها. إلا أن الغريب في الأمر أن باشا آخر كان يتردد على أسمهان في الوقت نفسه هو مراد محسن باشا، وكان مدير الخاصة الملكية ويقال إنه أحب أسمهان كثيرا لكنه كان أكثر تحفظا واحتياطاً من أحمد حسنين باشا، وكانت هناك منافسة وغيرة بين الاثنين إلا أن مراد باشا أنهى علاقته بأسمهان بعد أن وصل إليه خبر علاقتها بأحمد حسنين باشا. رغم العلاقة الوطيدة التي ربطت أسمهان بالصحافي الشهير محمد التابعي إلا أن التابعي يصّر على أنها لم ترق إلى رابطة الحب أو الغرام، رغم أنه كان يذهب إليها في هذا الحد، والسبب، يقول الجزائري في الكتاب نفسه:

"... حسب أسمهان نفسها ـ إن عبد الوهاب لم يعجبها، فهو في مجلس الغناء والطرب يعجب ويفنث أي أنثى، لكنه في مجلس العشق والغزل شيء آخر لا يعجب ولا يفنث... وأكثر من ذلك وصفته بأنه رجل مغرور يريد من المرأة التي يحبها أن توفر له كل غناء الحب، عليها أن تكون لها جرة الرجل، وأن تترك لعبد الوهاب حشمة المرأة وحياتها وخفرها، أي أن الأوضاع الطبيعية بين الرجل والمرأة تنقلب مع عبد الوهاب... فهو يجلس مطرقا برأسه وعلى المرأة أن

ترحف إليه وعلى ركبتيها وليس عليه بعد إلا أن يتفضل وتقبل منه حبه وخضوعها لكي تكون إلى جانبها لشهرين حتى تشفى تماما لكنها بقيت معها ثمانية أشهر وبعد ذلك لم تفارقها حتى غرقت معها في النيل. التابعي نفسه قال بأنه كان يتراح للجلوس معها، وهي كانت تطمئن إليه وتثق به وتلجأ إليه كلما نزلت بها شدة أو خرج كما حدث في أحداث عدة، واعترف التابعي أن أسمهان لم تحبه"كما لم تحب أي رجل آخر بالمعنى الصحيح للحب، حتى أزواجها الشرعيين، ولكنها أحبته محبة من نوع خاص بها، (محبة أسمهانية) حيث إن قلبها كان يحمل التابعي شيئا أقوى من الصداقة والودة، وقد اعترفت بذلك لبعض صديقاتها اللواتي سألنها عن حقيقة حبها له، ولكن ذلك لم يؤكّد. أما التابعي نفسه فهو يؤكّد أنها لم تكن له أي حب، وهو ليس بمغرور كي يدعي "حب لا حقيقة له ويقول:

.نعم كانت تضمر لي ودا وصداقة وثقة وتقدير، ولكن هذا كل ما في الأمر. هل أغرم عبد الوهاب بأسمهان؟ كانت الراحلة في أثناء فترة ارتباطها بالأمير حسن الأطرش تزور القاهرة من فترة إلى أخرى، وفي هذه الزيارات تجتمع بالأصحاب ومنهم الفنانون كونها على معرفة ببعضهم وصداقة مع آخرين، وكونها من المعجبات بالموسيقي الكبير عبد الوهاب فقررت إليه وبألبها الإعجاب وكانت تزوره في داره وقيل إنها تبادلوا الغزل، إلا أن الأمور لم تتطور أكثر من ذلك وتوقفت عند هذا الحد، والسبب، يقول الجزائري في الكتاب نفسه:

"... حسب أسمهان نفسها ـ إن عبد الوهاب لم يعجبها، فهو في مجلس الغناء والطرب يعجب ويفنث أي أنثى، لكنه في مجلس العشق والغزل شيء آخر لا يعجب ولا يفنث... وأكثر من ذلك وصفته بأنه رجل مغرور يريد من المرأة التي يحبها أن توفر له كل غناء الحب، عليها أن تكون لها جرة الرجل، وأن تترك لعبد الوهاب حشمة المرأة وحياتها وخفرها، أي أن الأوضاع الطبيعية بين الرجل والمرأة تنقلب مع عبد الوهاب... فهو يجلس مطرقا برأسه وعلى المرأة أن ترحف إليه وعلى ركبتيها وليس عليه بعد إلا أن يتفضل وتقبل منه حبه وخضوعها لكي تكون إلى جانبها لشهرين حتى تشفى تماما لكنها بقيت معها ثمانية أشهر وبعد ذلك لم تفارقها حتى غرقت معها في النيل. التابعي نفسه قال بأنه كان يتراح للجلوس معها، وهي كانت تطمئن إليه وتثق به وتلجأ إليه كلما نزلت بها شدة أو خرج كما حدث في أحداث عدة، واعترف التابعي أن أسمهان لم تحبه"كما لم تحب أي رجل آخر بالمعنى الصحيح للحب، حتى أزواجها الشرعيين، ولكنها أحبته محبة من نوع خاص بها، (محبة أسمهانية) حيث إن قلبها كان يحمل التابعي شيئا أقوى من الصداقة والودة، وقد اعترفت بذلك لبعض صديقاتها اللواتي سألنها عن حقيقة حبها له، ولكن ذلك لم يؤكّد. أما التابعي نفسه فهو يؤكّد أنها لم تكن له أي حب، وهو ليس بمغرور كي يدعي "حب لا حقيقة له ويقول:

بدات شهرة أسمهان في القاهرة منذ أن كانت في السادسة عشرة حيث بدأت تحيي الحفلات والأفراح وتناقضي الأجر و تحسنت حال العائلة ماديا، فانتقلت في شقة في منطقة غاردين سيتي، ويعدها زارهم ابن عمها الأمير حسن الأطرش من أجل طلبها للزواج. والدتها رفضت في البداية، ذلك أن أسمهان بدأت تعيل العائلة وتر عليها بعض الأموال، حسبما صرحت الراحلة فيما بعد. في ذلك الوقت كانت أسمهان ضعيفة ووالدتها تتحكم بأمرها وقراراتها. وبعد ذلك جيش الأمير حسن الأطرش العشيرة ضد عائلة المنذر، والدة أسمهان، وأبلغهم بأنها تغني في الملاهي وأن ولديها فريد وأمال يحترفان الغناء، فشارت ثائرة العشيرة، وخشيت والودة من العقابة ومن بطش العائلة. وهكذا عاد العريس إلى مصر مرة ثانية ورثب الأمور وسجل لو الدتها منزلا في دمشق ودفع لها مبلغ خمسمائة جنيه من الذهب تعتبر ثروة في ذلك الوقت وتوجهت أسمهان وابن عمها مع شقيقها فؤاد إلى جبل الدروز وتم الزواج وأصبحت تحمل لقب الأميرة آمال الأطرش. لكنها بعد أن انفصلت عنه، عادت وتزوجت من بعد عدة سنوات، في الثالث من تموز عام ١٩٤١، بعد أن قررت اعتزال الفن والتفرغ للسياسة والأسرة حسب قولها، لكن هل هذا ما حدث بالفعل؟

كانت أسمهان تعمل بإدارة أحمد بدرخان في فيلم "انتصار الشباب" مع شقيقها



الراحل فريد الأطرش، وبديهى أن يلتقيا يوميا ويتبادلا الآراء والإحاديث وتشكو ما تعرض له من حسنين باشا والملك فاروق وغيرهما من المعجبين ويجتمعا إما في أحد المطاعم أو في استديو ليب مصور الفيلم الفوتوغرافي، وكان بدرخان رفيقا ولبقا يحدثها حول خصوصياته أيضا وحياته المضطربة وكان أن طلب منها الزواج في إحدى المرات وهي كانت بحاجة إليه لأسباب عدة، منها التخلص من بيت الأسرة حيث كانت تلقى الضرب المتواصل من شقيقها فؤاد، إضافة إلى أن أحمد بدرخان كان مخرجا معروفا في الوسط الفني، والأهم أنها كانت تعتبر إجنبية في القاهرة وزوجها من مصري يسهل الحصول على الجنسية المصرية. وبذلك كان زواجها العرفي من أحمد بدرخان، الذي لم يكمل الشهرين، ثم أنهاه الطلاق.

التقت أسمهان بأحمد سالم حين كانت تعمل في فيلم "انتصار الشباب"، كان يتردد أحيانا ويساعد في إدارة الفيلم، وهنا كانا صديقين، لكنها في الفترة التي أقامت فيها في القدس صدف أن حضر هو وتحية كاريوكا لبعض الأعمال فالتقى سالم بأسمهان في فندق الملك داود وتقاربا وحدث الزواج السريع وأضيا أسبوعين في العسل حتى جاءهما خطاب بالعودة إلى مصر حيث كانت وقعت عقد معثلى عن شركة مصر للتمثيل والسينما. بعد فترة بدأت أسمهان تتملل من الارتباط ومن غيرة أحمد سالم الشديدة عليها وهي التي اعتادت الحرية فدرست اتصالا له من تحية كاريوكا لكي يكون نواة خلاف بينهما، لكنه أحس بالظلم وحاول الانتحار مرتين وكل مرة يتم إنقاذه وفي إحدى مرات حاول قتلها حين أطلق عليها النار من مسدسه ولم يصيبها، هربت وطلب البوليس فأصاب أحمد بالظلم ببيعار ناروي وأصيب هو أيضا بعيار من مسدسه وبعد أن شفي قدم للمحاكمة وسميت قضيته بمأساة أحمد سالم وأسمهان.

× من بحث مطول للباحثة والفنانة سحر طه نشر في موقعها الالكتروني



manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

محررين



رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الاخراج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى



للاعلام والثقافة والفنون

القصيدة الضائعة من تراث أسمهان

عبد الوهاب الشخيلي

مؤرخ فني راحل

ليت للبراق عينا

قصيدة الشاعرة ليلى العفيفة

ليت للبراق عينا فتري
ما ألقى من بلاء وعنا
عذبت اختكم يا ويلكم
بعذاب الفكر صباحاً ومساءً
غللوني.. قيدوني.. ضربوا
جسمي الناحل مني بالعصا
قيدوني.. غللوني.. وافعلوا
كل ما شئتم جميعاً من بلا
فأنا كارهة بغيكم
ويقيني الموت شيء يرتجي

قام الشيخ زكريا أحمد بتلحين غير مُجد في ملتي واعتقادي سنة ١٩٤٠ وغنتها أسمهان في نفس تلك السنة، كما غنت كذلك من الحان زكريا أحمد أغنيتين هما هديتك قلبي و عذابي في هواك أرضاه وقد استطعت العثور على تسجيل لأغنية هديتك قلبي خلال احدي زياراتي للعاصمة السورية دمشق، حيث وجدتُها عند احد المحلات المتخصصة في بيع أشرطة الغناء النادرة، وقد استطعت - فيما بعد - أن اعثر على تسجيل جيد لقصيدة غير مجد في ملتي واعتقادي بصوت المطربة الكبيرة سعاد محمد التي كانت قد اعادت غناء هذه القصيدة بعد ان غنتها اسمهان، ولكن السؤال الملح: الي متي ستظل هذه القصيدة - بصوت أسمهان - ضائعة أو تائهة؟!

إلي جانب هذه القصيدة الضائعة، فإن الباحث الجاد فكتور سحاب يذكر في كتابه السبعة الكبار في الموسيقى العربية أن أسمهان قد غنت قصيدة لابن زيدون - الشاعر الأندلسي العاشق - وهي بعنوان أقرطبة الغراء.. ولم تفلح كذلك محاولاتي المستمرة في العثور على هذه القصيدة، وهي من تلحين الموسيقار العبقري رياض السنباطي، وهذا يعني أن هناك أعمالاً غنائية ضائعة حتي الآن من تراث اسمهان، رغم كل هذا الاهتمام الذي نراه الآن بها بعد عرض المسلسل الشهير عن حياتها خلال شهر رمضان المبارك.

نلتقي هنا اليوم مع النص الذي غنته أسمهان لقصيدة ليت للبراق عينا وهي للشاعرة ليلى العفيفة التي رحلت عن عالمنا سنة ٤٨٢ ميلادية، ومن الطريف هنا أن أشير الي ان الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة قد سمت ابنها الوحيد البراق رغم صعوبة هذا الاسم وندرته، وذلك تعبيراً عن إعجابها بأداء أسمهان لهذه القصيدة التي لحنها محمد القصبجي سنة ١٩٣٨، كما نلتقي كذلك هنا مع نص قصيدة اسقنيها وهي من أرق قصائد الأختل الصغير.

اسقنيها

قصيدة الأختل الصغير

اسقنيها بأبي أنت وأمي
لا لتجلو الهم عني.. أنت همي
املاً الكأس ابتساماً
وغراماً
فلقد نام الندامي
والخزامي
زحم الصبح الظلما
فإلاما
قم نهنه شفتينا
ونذوب مهجتينا
رضي الحب علينا
يا حبيبي... بأبي أنت وأمي
اسقنيها..
لا لتجلو الهم عني
أنت همي
إن تكن أنت أنا
وجعلنا الزمناً
قطرة في كأسنا
ياحبيبي..
اسقنيها لا لتجلو الهم عني
أنت همي

